Dirasat: Human and Social Sciences, Volume 50, No. 4, 2023

Deanship of Scientific Research

Rhetoric Ambiguity: A Pragmatic Study on Selected Poetic Excerpts

Rami Jamil Salem*

Coordination Unit for Service Courses, King Talal School of Business Technology,
Princess Sumaya University for Technology, Jordan.

Received: 8/11/2021
Revised: 8/12/2021
Accepted: 11/5/2022
Published: 30/7/2023

* *Corresponding author:*
ramijas@psut.edu.jo

Citation: Salem, R. J. (2023). Rhetoric Ambiguity: A Pragmatic Study on Selected Poetic Excerpts. *Dirasat: Human and Social Sciences*, *50*(4), 185–202.
https://doi.org/10.35516/hum.v50i4.5644

© 2023 DSR Publishers/ The University of Jordan.

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

Abstract

Objectives: The study aimed to investigate the rhetoric ambiguity which results from the semantic senses that morphologically similar words have and analyzes some selected poetic excerpts rhetorically and pragmatically.

Methods: A descriptive-analytical approach was used to achieve the aim of the study; by applying the mechanisms of pragmatic theory to uncover the implicit meanings and the deep structure of poetry. Thus, the study analyzes these excerpts in light of the speech acts theory, the implicature theory, the conversational implicature, and contextuality. The study covers two frameworks: a theoretical one in which we define rhetoric ambiguity, and a procedural one in which some poetic examples are analyzed.

Results: The findings indicated that pragmatics is very effective for analyzing the poetic examples, and for uncovering the implicit meanings and the deep structure of poetry, especially in the case of elliptical ambiguity. Moreover, metaphor types that encompass ambiguity differ according to the context. Finally, the study also found that there are rhetorical purposes and implicatures that are determined according to the speech acts in light of the rhetoric ambiguity.

Conclusions: The study recommended carrying out more research about the field of Arabic rhetoric according to the data of new rhetoric (the argument theory). It also recommends casting light on the old rhetoric terms and involoves convincing objectives that make it possible to study and testify according to the argument and pragmatic theories.

Keywords: Ambiguity, Arabic rhetoric, pragmatics argumentation, Arabic poetry.

مصطلح المشاكلة البلاغية دراسة تداولية لسانية على نماذج شعرية مختارة

رامي جميل سالم*

وحدة تنسيق المساقات الخدمية، كلية الملك طلال لتكنولوجيا الأعمال، جامعة الأميرة سمية للتكنولوجيا ،الأردن.

ملخّص

الأهداف: هدفت الدراسة الحالية لتقصّي مصطلح المشاكلة البلاغية الذي يتأسس على المغايرة في الدلالة بين اللفظين المتشاكلين؛ وتحليل نماذجه الشعرية المختارة التي تناولتها مدونات النقد والبلاغة تحليلا لسانيا تداوليا.

المنهجية: لتحقيق هدف الدراسة جرى استخدام المنهج الوصفي التحليلي باستثمار أهم آليات النظرية التداولية التي تخدم التحليل؛وتعين على كشف المقاصد الخفيّة والمسكوت عنه في البنية العميقة للقول الشعري ومن أهمها:نظرية أفعال الكلام ومضمنات القول،والاستلزام التخاطبي، وسياق الحال.وقد انطوت الدراسة على جانبين:نظري مُهّد فيه للمصطلح؛واجرائي تم فيه تحليل الشواهد الشعرية.

النتائج: أظهرت النتائج فاعلية اليات النظرية التداولية في تحليل الشواهد الشعرية واستنطاق المسكوت عنه في مستواها العميق خاصة في المشاكلة التقديرية؛ وأن طرائق التخييل بأسلوب المشاكلة تختلف بحسب المقام وأن ثمّة غاية بلاغية ومعنى ضمنيا استلزاميا يتحدد بالقدرة الانجازية والتأثيرية للكلام وفق مصطلح المشاكلة البلاغية.

التوصيات: إجراء دراسات موسعة حول حقل البلاغة العربية،وفق معطيات البلاغة الجديدة.وتوصي أيضا بتسليط الضوء على مصطلحات البلاغة القديمة التي تنطوي على أهداف إقناعية يجعل من الممكن دراستها وشواهدها وفق نظريات الحجاج والتداول.

الكلمات الدالة: المشاكلة، البلاغة العربية، التداولية، الحجاج،الشعر العربي.

المقدمة: المشاكلة الإرهاص والامتداد:

من يتابع حركة التأريخ لمصطلح المشاكلة البلاغية لحدود القرن الرابع الهجري، يقف على حقيقتين بارزتين: أولاهما: أن المصطلح دار في كلام البلاغيين منذ مرحلة مبكّرة، لكن بمعناه اللغوي القائم على المماثلة والانسجام والتوافق (ابن منظور،2014). وقصدوا به التناسب في النظم والتلاؤم في الألفاظ مع السياق، وأسموه "المشاكلة الفنية" (محمد، 1993).والمشاكلة بهذا المفهوم تدل على الانسجام والاتساق والتماسك والسبك (cohesion)، الذي يعدّ من المصطلحات الأكثر شيوعاً في أدبيات النقد القديم، ويدل على تعلّق كلمات النص بعضها بعضاً، كما أنّ البلاغيين أجمعوا على ضرورة جودة النسج والسبك ورصانة التأليف في الكلام وترتيبه الموضع اللائق والمؤثر؛ ليضفي على النص الأدبي بعداً جمالياء ويعطيه قدرة على التأثير.

وقد كانت البداية مع اللغوي الفرّاء (207ه) في كتابه "معاني القرآن"، حيث أُدخل هذا المصطلح تحت ألوان وأنواع بديعية متعددة، مما أحدث تخبطاً في المسار النقدي له، وقد تلمس صاحب كتاب "جوهر الكنز" هذه الإشكالية في كتابه، فجمع فيه شتيت المصطلحات في صعيد واحد هو المشاكلة (ابن الأثير،د.ت).وفيما قدّمه الفراء لم يترك لمن بعده أية إضافة يقدمونها في شرح المصطلح سوى شرف تسميته التي تعزى إلى أبي علي الفارسي (377ه).

ومن يتابع اجتهادات النقاد والبلاغيين في هذه المرحلة سواء في ضبط معنى المصطلح أو توضيحه وشرحه يقف على صورة واضحة من الجدل والاختلاف؛ ففيما يتعلق بضبط المصطلح نجد المبرد يسميه "المزج"، وابن المعتز يناقشه في باب "رد الأعجاز على ما تقدمها"، والشريف المرتضى يستخدم "الازدواج" بدلاً منه، والقيرواني يناقشه في باب "التجنيس" ويقدمه التنوخي تكراراً، ويلحقه السجلماسي بالمحاذاة.

أما ما يتعلق بتعريف المصطلح فيقدم الخطيب التبريزي (502ه) له تعريفاً خاصاً بالشعر بأن "يجمع الشاعر في البيتين كلمتين متجاورتين أو غير متجاورتين شكلهما واحد، ومعنياهما مختلفان" (التبريزي،1994)، وفيما يبدو أن التبريزي لم ينتبه إلى أن تعريف المشاكلة عنده لا يخرج عن التجنيس وبالأخص الجناس التام، حتى يأتي السكاكي فيعرّفه بأنه ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته، إلا أن المصطلح يلقى على يد ابن أبي الإصبع المصري (654ه) تفرداً ملحوظاً، فنجده يوسع من دائرته ليخرج من إطار التشاكل اللفظي إلى باب تشاكل المعاني في شعر الشاعر أو بين الشعراء (المصري، 1995)،وما يقدمه المصري هو ما يمكن تسميته بالمشاكلة المعنوية والتي يكون التوافق فيها في المعنى وليس في الصورة، وهو ما نسميه في وقتنا الحاضر "التناص" Intertextuality.

ويصل أمر الاختلاف إلى حد تناول البلاغيين والنقاد للمصطلح في مدوناتهم البلاغية؛ فمنهم من أشار إلى المصطلح بتسميات أخرى وتطرّق للحديث عنه من خلال الشواهد،ويمكن أن نشير هنا إلى ابن قتيبة والمبرد وابن المعتز والعسكري وأسامة بن منقذ والشريف المرتضى وحازم القرطاجني والسجلماسي والتنوخي وابن الأثير الجزري. ومنهم من ناقش المصطلح بمسمّاه وقدّم له تعريفاً واضحاً، ويمكن الإشارة هنا إلى الخطيب التبريزي والسكاكي وابن أبي الأصبع المصري والخطيب القزويني. ومنهم من ناقش المصطلح من خلال الحديث عن إعجاز القرآن ونظمه، معتبرين المشاكلة صورة من الصور البلاغية المحققة لذلك، ونذكر هنا الرّماني والباقلاني والقاضي عبد الجبار والزمخشري والجرجاني عبد القاهر.ومنهم من ناقش المصطلح من منظور لغوي بحت كالفرّاء والزجاج وأبو علي الفارسي وغيرهم.

أما الحقيقة الثانية فهي أنّ هذا الفن البديعي لم يصلنا فناً قائماً بذاته،مستقلاً عن غيره من فنون البديع الأخرى،إلا في مرحلة متأخرة عند بعض البلاغيين المتأخرين مثل السكاكي والقزويني. يقول السكاكي (626ه) في تعريفه: "ومن البديع المعنوي: المشاكلة وهي أن تذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته" (السكاكي،1987).ويقدم لتعريفه العديد من الشواهد الشعرية والقرآنية، ويأتي القزويني فيضيف إلى التعريف جملة "تحقيقاً أو تقديراً" (الخطيب القزويني، د.ت) ليحدد بذلك نوعي المشاكلة.

المشاكلة: ركناها وضوابطها الدلالية:

لقد كان الخطيب القزويني من أوائل البلاغيين الذين أشاروا الى ركني المشاكلة صراحةً فذكر التحقيقية والتقديرية؛ أما التحقيقية فتُسمى اللفظية بحيث يكون اللفظان ظاهرين في الجملة، اللفظ الأول (المشاكَل) واللفظ الثاني (المشاكِل)، فيأتي اللفظ المشاكِل على سمْت اللفظ المشاكَل لوقوعه في صحبته، كما أسفلنا، بيد أنّ "استعمال اللفظة الثانية وقد تكون الأولى هو استعمال غير حقيقي أي مجازي تم فيه خرق المعيار اللغوي المتعارف عليه" (الصياد،1994) فتكون اللفظة الثانية على المستوى السطحي تعطي مدلول اللفظة الأولى ولكنها على المستوى العميق يُعدل بها إلى دلالة جديدة منسجمة مع سياق المقام التداولي للجملة.

ومن الشواهد التي قُدّمت على هذا النوع من المشاكلة قوله تعالى: (**وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا**) فكلمة سيئة الثانية ليست بسيئة تُكتب على صاحبها لأنه يقتصّ فيها، وإنما المراد بها الجزاء أو العقاب، فالجزاء عند السيئة في الحقيقة غير سيئة، والأصل جزاء سيئة عقوبة مثلها، وإنما صح لوقوع المعنى الآخر معبراً عنه بلفظ الخاص به، وهو سيئة الأولى، وهو وقوع حقيقي (المبرد،1989م).

أما النوع الثاني من المشاكلة فهو المشاكلة التقديرية أو المعنوية، وهنا يكون اللفظ الثاني أي اللفظ الدال على الغير (المشاكِل) غير موجود، وإنما

يُعتمد على فهمه وإدراكه بحسب السياق وقرائن الحال المقامية، فلا تكون المصاحبة هنا باللفظ وإنما في الفعل والمقام. وهذا يعني أنّ المشاكلة التقديرية "يُلمح فيها اللفظ المشاكِل ضمناً في المعنى، ويُدرك في العقل والتأمل والتفكر والاسترجاع بمعنى يقابل المعنى المذكور بلفظه الدال عليه وقرائن الحال، ولعل الغموض الذي يصحب النوع الثاني يجعل منها أكثر بلاغة لما تحمل من شحذ الفكر وتحفيز الذكاء والموهبة" (كريش،2015م).

ومن الشواهد التي سيقت على هذا النوع قوله تعالى: (**صِبْغَةَ اللّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدونَ**) (البقرة، 138) فجيء بلفظ الصبغة مقصوداً به التطهير بالإيمان على سبيل المشاكلة لوقوعه في صحبة صبغة النصارى، وإن لم يكن قد تقدّم لفظ الصبغة، لأن قرينة الحال والسياق المقامي، وهي هنا سبب نزول الآية، قد دلت عليه. ومن الشواهد الشعرية التي يسوقونها هنا قول أبي تمام العباسي:

مَنْ مبلغ أفناء يُعْرُبَ كلَّها أنّي بنيتُ الجارَ قبل المنزل

فالجار هنا لا يُبنى والذي يُبنى هو المنزل، ولكنه يختار ويُنتقى، وقد ذكر الاختيار والانتقاء بلفظ البناء لوقوعه في صحبة بناء المنزل، والذي سوّغ بناء الجار هو مراعاة المشاكلة بوقوع هذا المعنى بصحبة البناء الحقيقي، إذ لولا بناء الدار لم يصحّ بناء الجار (مطلوب،1993).

يتضح من العرض السابق أنّ تحقيق التماثل الظاهري بين الدالين في البنية السطحية للمشاكلة يأتي عن طريق المصاحبة أو المجاورة، حيث تقود هذه الأخيرة المتلقي إلى حركة ذهنية ترددية، يحاول من خلالها أن يُعمل فكره وتأمله وتدبّره في محاولة لتخفيف حدّة المفارقة، بين التساوي المسيطر على البنية السطحية للفظ المشاكل، وبين الاختلاف المستقر في البنية العميقة للفظ المشاكِل، حيث إن هذه المفارقة والمغايرة في الدلالة السياقية تحفّز المتلقي، والحال كذلك، على إعمال فكره في هذا العدول، وعِلّة ذلك "أن المعنى المراد يظهر في لفظ غير لفظه، فيبدو في رداء غير مألوف مما يثير انتباهه، ويستدعي إصغاءه (الستيت،1994م).وهذا التوضيح يقودنا إلى فهم توخّي الشاعر أن تصبح القصيدة على يديه "نص لغوي فني تتجاوز بدلالاتها المستوى المعجمي للغة إلى مستويات دلالية أكثر عمقاً وأكثر تنوعاً" (الداية، 1996).

إنّ المغايرة في الدلالة السياقية بين اللفظين المتشاكلين شرط أساس يقوم عليه البناء الفني لأسلوب المشاكلة البلاغية، ولعل هذه المغايرة هي التي دفعت بعض البلاغيين لإدراج المشاكلة ضمن المحسنات المعنوية في إطار المنظومة البديعية، وفي إطار تنزيل المشاكلة في حقل البلاغة تغدو فناً أسلوبياً بلاغياً، وفي تخصيص دراستها في الشعر فإنها تقود إلى لمس فائدتين: فائدة على المستوى الدلالي من جهة المعنى الثاني الذي يظهر بوصفه إضافة جديدة مبتكرة للسياق الشعري في البيت، من خلال توليد المعاني المجازية التي يوظف بها المبدع عنصر التخييل والمفاجأة، وهذا يظهر في المشاكلة التقديرية بوضوح، وفائدة على المستوى الصوتي الذي يظهر من جهة الأثر الإيقاعي، الذي تتركه المشاكلة بنوعيها التحقيقي من خلال السمة التكرارية الترددية، التي تنتج عن ذلك الأثر منسجماً مع التأثير الدلالي في نفس المتلقي، على نحو جمالي ساحر للأذهان، ويمكن لنا توضيح هذه الايحاءات بالمخطط الآتي (كريش،2015م).

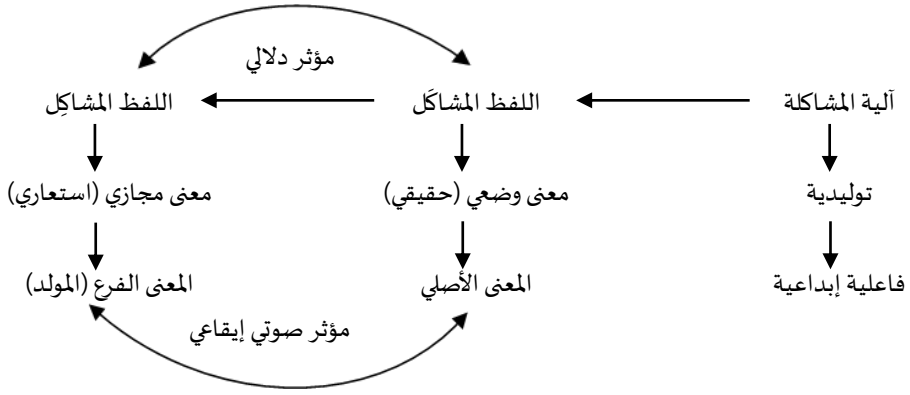

شعرية المشاكلة:

تتقارب الشعرية في بعض وجوهها وتعريفاتها مع مصطلح المشاكلة بمفهومها البلاغي؛ فالشعرية تشير إلى الطاقة المتفجرة في الكلام المتميز بقدرته على الانزياح والتفرّد، وخلق حالة من التوتر (مطلوب، 2002)، وتتضح في دراسة ألوان من صيغ بناء الكلام، ولما كانت الشعرية انحرافاً عن التعبير وانزياحاً وخرقاً لقانون اللغة تماهت مع المشاكلة، التي اكتسبت شعريتها بقيامها على مبدأ المغايرة في الدلالة بين اللفظين المتشاكلين، حيث إن المغايرة أساس يقوم عليه البناء الفني لأسلوب المشاكلة في السياق. ولما كانت الشعرية تندرج في باب "علم الأسلوب الشعري" (مطلوب، 2002) غدت المشاكلة في ضوئها نمطاً أسلوبياً يقصد الانحراف أو العدول Deviation، أو التغير الذي يصاحب الدلالة السياقية للفظين المتماثلين.

ومن طرف آخر تُعرّف الشعرية بأنها "وظيفة من وظائف العلاقة بين البنية العميقة والبنية السطحية... وحين تنشأ خلخلة وتغاير بين البنيتين تنبثق الشعرية وتتفجر في تناسب طردي مع درجة الخلخلة في النص" (أبو ديب، 1987).وهذا الدور للشعرية ينسجم كل الانسجام مع دور المشاكلة في بناء النص الشعري.

إنّ من أهم صور الشعرية "المجاز" الذي يعدّ من أهم سماتها؛لأنه يقوم على التخييل (مطلوب، 2002) خاصة في الاستعارة التي هي انزياح استبدالي، بحيث تخلق للكلام صورة جديدة وتكسبه رونقاً، ولا نعدم في المشاكلة شواهد شعرية تقوم على الاستعارة، إذ المشاكلة أسلوب يتجلى فيه الإيهام والتخييل بطريقة الاستعارة والمجاز، على أنّ طرائق التخييل بأسلوب المشاكلة تختلف بحسب المقام.

التداولية التواصلية: المفهوم وآليات التطبيق:

تعد التداولية فرعاً من فروع السيميائية، تعنى في جوهرها بدراسة اللغة عند استعمالها في الطبقات المقامية المختلفة، فهي "إطار معرفي يجمع مجموعة من المقاربات تشترك عند معالجتها للقضايا اللغوية في الاهتمام بثلاثة معطيات لما لها من دور فعال في توجيه التبادل الكلامي وهي: المتكلمون (المخاطِب والمخاطَب) والسياق (الحال/ المقام) والاستعمالات العادية للكلام، أي الاستعمال اليومي والعادي للغة في الواقع" (قدور، 2008)، وفي مجال عملها فإنها تبحث في كيفية اكتشاف السامع مقاصد المتكلم أو دراسة معنى المتكلم أو توجيه المعنى المتضمن في السياق الشعري، وهي بذلك تعدّ الأقدر على فهم كثير من النصوص الأدبية وغير الأدبية باعتبارها أعمالاً أدبيةً ترتبط بمقامات وتُنجز في سياقات، وأنه لا يمكن فصلها عن ظروف إنتاجها، بَلَه دورها المتمثل في حصر التأويلات الممكنة ودعم التأويل المقصود (نحلة، 2002).

ولما كانت البلاغة في جوهرها مطابقة الكلام لمقتضى الحال، فضلاً عن كونها مفتاح العلوم؛استحقت بذلك أن تكون بلاغة تداولية تتقارب فيها المفاهيم والآليات المشتغلة على النصوص البلاغية منها والشعرية، وتراعي الربط بين مستوى الخطاب اللساني وسياقه التداولي، ومن هنا سعت التداولية لدراسة الاتصال اللغوي في إطاره الاجتماعي في نطاق التأثر والتأثير، بمعنى أنها باتت تنظر إلى الخطاب بأنه يحمل في ثناياه قصداً تأثيرياً تحدده تلك الظروف الإنتاجية له.

ولما كانت التداولية تعنى بدراسة التواصل بين المتكلم والمتلقي، وتولي المتلقي أهمية بالغة في هذه العملية وكذلك سياق الحال في تقدير المعنى، وأثر العلاقة بين المتكلم والمتلقي في الكلام، فإنها بذلك تعد صالحة للاشتغال على النماذج الشعرية للمشاكلة، كون البناء الفني لأسلوب المشاكلة مع السياق يقوم على المغايرة والعدول في الدلالة، مما يعطي للمتلقي دوراً بارزاً للوصول إلى قصد المتكلم وإلى المعنى المتواري خلف السياق، بعد مزيد من التفكر والتأمل والتدبر للمعنى السياقي الذي أتت به المشاكلة، خاصة في المشاكلة التقديرية "التي يتوافر فيها عنصر الغموض فيجعلها أكثر بلاغة،وتتحقق لدى المتلقي أريحية لما تخلقه من عنصري التشويق والمباغتة.

ولا غنىً عن القول إنّ السيميائية ارتبطت ارتباطاً وثيقا بالنموذج اللساني البنيوي، ويعود الفضل لغريماس في إدراج مصطلح التشاكل ضمن قائمة المصطلحات السيميائية، حيث وضع له تصوراً ليكون إجراءاً سيميائياً؛ لما لهذا المصطلح من أهمية بالغة في مقاربة النصوص وتحليلها(هندي، 2021)، ثم نجد المصطلح ينتقل على يديه إلى ميدان اللسانيات، ليصبح هذا المصطلح ذا أصل لساني يدل في اللسانيات على مجموع السيمات المشتركة،والتشاكل النصي هو مجموع النقاط الدلالية المشتركة والمتكررة بين كل جمله(بشير،2019)،ومنذ ذلك الوقت احتلّ المصطلح مركزاً أساسياً لدى التيار السيميوطيقي البنيوي (هندي، 2021).

والجدير بالذكر في هذا السياق أنّ المشاكلة البلاغية تختلف من حيث المفهوم والإجراء عن التشاكل السيميائي البنيوي؛فالأولى هي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته،وهذا المفهوم البلاغي لا يقترن بالمفهوم السيميائي للتشاكل القائم على تكرار مقومات معنوية متماثلة،وتشابك لعلاقات دلالية عبر وحدة ألسنية،بحيث نبحث في الخطاب عن التشاكل التركيبي والتشاكل الصوتي والتشاكل المعنوي والنحوي والدلالي وهكذا.

الآليات التداولية في دراسة نماذج المشاكلة الشعرية:

أولاً: متضمنات القول (Conversation implicature):

تنطلق هذه الآلية من فرضية أنّ هناك جانبين في كلامنا: جانب صريح وجانب ضمني يُفهم من حيثيات الكلام، ويعرفها صحراوي بأنها: "مفهوم تداولي إجرائي يتعلق برصد جملة من الظواهر المتعلقة بجوانب ضمنية وخفية من قوانين الخطاب تحكمها ظروف الخطاب العامة كسياق الحال وغيرها" (صحراوي، 2005).

وترتبط متضمنات القول بمفهومين:

أ- **الافتراضي المسبق:** وقد أطلق عليها طه عبد الرحمن الإضمارات التداولية (عبد الرحمن، 1988)، ففي الملفوظ (1): "سيارتي جديدة"، وفي الملفوظ (2): "سيارتي ليست جديدة" افتراض مسبق هو "أنني امتلك سيارة إلى الآن"، فالافتراض المسبق يشكل خلفية التبليغ الضرورية لتحقيق النجاح في عملية التواصل.

ب- **الأقوال المضمرة أو المسكوت عنه:** إذ يميل المتكلم إلى حذف بعض العناصر من الكلام اعتماداً على معرفته قدرة المخاطب على فهم العناصر المحذوفة وإدراكها تارة ووضوح قرائن السياق تارة أخرى (الفقي، 2000)، فقول أحدهم لصديقه "تحرّ الصدق" فهو يحاول في هذا السياق:

الإشارة إلى أن المتكلم لا يحب الكذب. / المتكلم يريد الدقة في الخبر. / يشير المتكلم إلى أهمية الصدق في الحوار والإخبار.

وقد تتعدد التأويلات مع تعدد السياقات، وتقوم الأقوال المضمرة على الاستنتاج فما دام محلل الخطاب لا يملك طريقة مباشرة للوصول إلى المعنى، فهو في الغالب يحتاج إلى عملية الاستنتاج لتمكنه من الوصول إلى فهم المقولات والمضمرات فيه.

ثانياً: الاستلزام الحواري (المحادثي):

لاحظ بول غرايس واضع مفهوم الاستلزام الحواري أنّ جمل اللغات الطبيعية في بعض المقامات تدل على معنى غير محتواها القضوي أي الإخباري المباشر، ولذا ميّز بين المعنى الدلالي والمعنى التداولي الذي يستلزمه الحوار بين متكلم ومستمع، ولهذا المعنى قوة إنجازية، ذلك أن المتكلم عندما يتلفظ بقول ما فهو ينجز فعلاً صريحاً أو ضمنياً.

أخذ غرايس يفكر: كيف يقول المتكلم شيئاً ويعني شيئاً آخر؟ كيف للمخاطب أن يسمع ويفهم شيئاً آخر؟ لذا اقترح نظريته المحادثية التي تنص على أنّ التواصل الكلامي محكوم بمبدأ عام (مبدأ التعاون) وينهض على أربع مسلمات: (عبد الرحمن، 2000م)

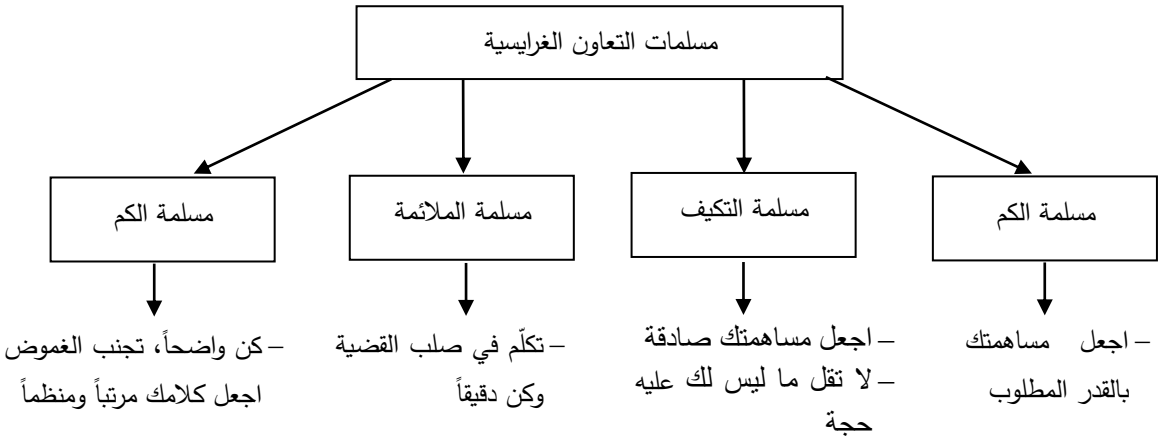

علماً أنّ الاستلزام الحواري يحدث عند خرق إحدى القواعد السابقة في الخطاب.ويقترح غرايس تنميطاً للعلاقات اللغوية يقوم على التشجير الآتي:

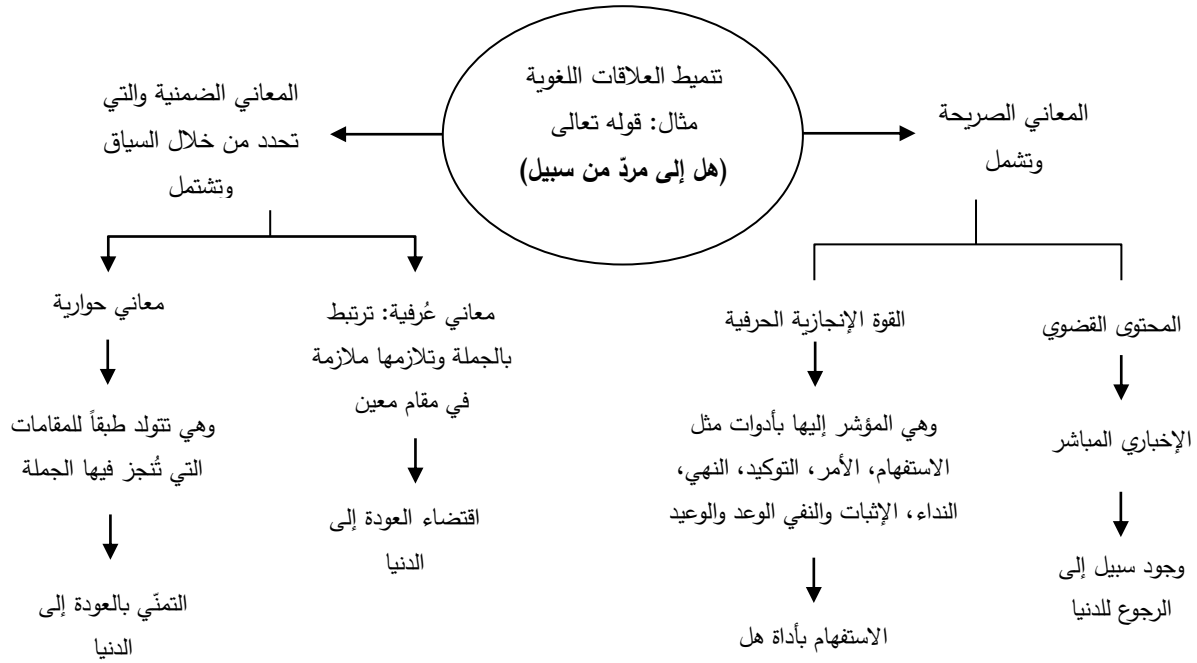

ثالثاً: نظرية أفعال الكلام:

ترتكز هذه النظرية التي أسس أصولها أوستن، وطورها من بعده كل من سيرل وغرايس على فكرة "الإنجازية"، والتي تتأسس على أنّ بعض الملفوظات أو الجمل لا نحكم عليها بمعيار الصدق والكذب كالجمل القضوية الخبرية، كما أنها لا تتوخى وصف العالم، ولكنها ملفوظات تؤدي أفعالاً فيها إنجاز مثل: الوعد والتحذير، فعند النطق بجملة "أقبل أن تكون هذه المرأة زوجتي"،إنما تُنجز فعلاً هو "فعل قبول الزواج على الولاء".

وقد ميّز أوستين بين الجمل الإنجازية الصريحة Explicit Performative،والجمل الإنجازية المضمرة Implicit performative (ختام، 2016).

ففي الجملة السابقة نلحظ فعل الإنجاز الصريح (أَقْبَلُ)، ولكن قولنا "علي يفرط في التدخين" فيها فعل إنجازي مُبطّن وهو "التحذير من مغبة الإفراط في التدخين".

وقد أكد أوستن أننا حين نتلفظ بجملة ما فإننا نقوم بثلاثة أفعال هي:

أولاً: فعل القول (فعل التلفظ).

ثانياً: الفعل المتضمن في القول (فعل الإنجاز): فعندما نتلفظ بقول ما، فإننا ننجز معنى قصدياً أو تأثيراً مقصوداً، كالوعد أو التحذير أو الاستفهام، فعبارة "سأحضر لرؤيتك غداً" يتحقق فعل الإنجاز في الوعد بالحضور.

ثالثاً: الفعل الناتج عن القول (فعل التأثير): وهو التأثير الذي يُحدثه فعل الإنجاز في المتلقي فيدفعه إلى التصرف بطريقة ما، فعبارة "لا تلعب في الشارع" تحمل فعل الإنجاز وهو التحذير، وهذا الفعل يؤثر على الطفل فيندفع للاستجابة لذلك التحذير.

ومما قام به أوستن أنّه وضع تصنيفاً للأفعال الكلامية في ضوء قدرتها الإنجازية، على النحو التالي (فياض، 2018):

1- الحكميّات: هو كل فعل يدل على حُكم.
2- التنفيذيات: هو كل فعل يعبّر عن اتخاذ قرار كالطرد والتعيين.
3- الوعديات: كل فعل يعبّر عن التعهد بفعل شيء كالوعد والضمان.
4- السلوكيات: كل فعل يعبّر عن رد فعل لسلوك الآخرين ومواقفهم مثل الشكر والاعتذار والتعازي والتهاني.
5- المعروضات(أفعال الرأي): كل فعل يعبّر عن توضيح وجهة نظر أو بيان رأي وذكر حجة كالنفي والإنكار والاعتراض.

ثم طوّر سيرل أفكار أستاذه، ومن إنجازاته أنه طور شروط الملاءمة التي وضعها أستاذه، وقسّم الأفعال الكلامية من حيث قدرتها على القوة الإنجازية قسمين:

أفعال كلامية مباشرة وهي التي يكون معناها مطبقاً لما يريد المرسل، وأفعال كلامية غير مباشرة وهي التي تخالف قوتها الإنجازية مراد المتكلم، بحيث نقصد بها إلى التعبير بشكل ضمني عن شيء آخر غير المعنى الحرفي، مثل: السخرية والإنكار والتمني والتعجب أي (المعاني المجازية) بهدف حصول التأثير (عكاشة، 2013).

كما صنّف سيرل،الذي أكمل بعد أوستين أبحاثه في هذا المضمار، الأفعال الكلامية إلى خمسة أصناف (فياض، 2018):

1- الإخباريات أو التقريريات: مثل التصريح، التسمية، التبرئة.
2- التوجيهات أو الطلبيات: وهي حمل المخاطب على أداء فعل أو عمل معين مثل الأمر والنهي والطلب.
3- الإلزاميات أو الوعديات: مثل الوعد والتعهد.
4- التعبيرات أو الإفصاحيات: مثل التهنئة والاعتذار والشكر.
5- الإعلانيات أو الإيقاعات: وتقوم على وصف حالة معينة من خلال قضية ومن أمثلتها: التفسيرات والتأكيد والتصنيفات والأحكام التقريرية.

وتنهض نظرية أفعال الكلام على دعامتين منهجيتين أساسيتين.

أ- القصدية:

ينهض كل فعل كلامي على قصد معين، وله تأثير ودور في ضبط القوة الإنجازية المرادة، ويتأكد الربط بين العبارة اللغوية ومراعاة مقاصد المتكلمين من خلال أعمال الفيلسوف سيرل الذي عَدّ الغرض المتضمن في القول مكوناً أساسياً من مكونات القوة المتضمنة في الفعل (صحراوي، 2005).

ولا يعتمد فهم قصيدة المتكلم على الدلالة اللسانية فقط،بل يتجاوزها بتشغيل كل أنواع المؤشرات والقرائن السياقية والتداولية، كما يجنّد لذلك قدراته الاستدلالية والاستنتاجية التي تُدخل في اعتبارها أية معلومة كيفما كانت.

ب- سياق الحال:

أي السياق الذي يجري فيه القول؛ سياق الحال بكل معطياته الثقافية والاجتماعية والنفسية، والسياق ذو دور فاعل في كشف مقاصد المتلفظ

بالخطاب الظاهرة والخفية، لذا تعد التداولية نظرية سياقية تهتم بدراسة مقاصد المتكلم السياقية، والتأثير الذي يمارسه هذا السياق على ما يُقال،كما أنها تحصر مجال التأويلات الممكنة وتدعم التأويل الذي يريده المتكلم، ولهذا فهي تأخذ بعين الاعتبار كيف ينظم المتكلمون خطابهم وما يرمون إليه، وبهذه المقاربة فإنّ التداولية تبحث عن المقاصد الخفية التي لم يُصرّح بها المتكلم، وتهتم بدراسة ما يعبّر عنه أكثر مما ترتبط بما يُقال.

النماذج الشعرية للمشاكلة وآليات التحليل التداولي:

-1-

إنّ الولايـــــــــة لا تـــــــــدوم لواحـــــــــدٍ	إنْ كنـــــــــت تنكـــــــــره فـــــــــأين الأول
واغـــــرس مـــــن الفعـــــل الجميـــــل غرائســـــاً	فـــــــإذا عُزلـــــــتَ فإنهـــــــا لا تُعـــــــزل

يساق هذا الشاهد الشعري مثالاً على المشاكلة التقديرية، التي تُفهم من سياق الحال ومقام القول، والمشاكلة تكمن في إقامة الشاعر للفعل (اغرس) مقام اصنع ليشاكل بذلك فعل الوالي، فلفظ الغرس لم يتقدم في الحقيقة على غرار المشاكلة اللفظية، وإنّما تقدم معناه، فعبّر عن صنع المعروف والفعل الجميل بالغرسِ في صحبة الغرس بوقوعه تقديراً، بقرينة رؤيتك إياه وهو يغرس الشجر، وكأنك تقوله له: اغرس المعروف كما تغرس الشجر.فالمستوى السطحي يتمثل في قول الشاعر (واغرس من الفعل الجميل غرائساً)، بينما المستوى العميق يتمثل في (واصنع من المعروف ما يبقى).

وفي وصول الشاعر إلى غايته ومبتغاه الضمني في البيت الثاني، راح يستعين بالتوكيدات الإشارية؛ فأسلوب التوكيد من الأساليب التي عُدّت من الطلبيات، فهو فعل كلامي كثير الورود في لغة التواصل، الغرض منه تقوية الخبر وتمكينه في النفس بإزالة الشك أو الشبهة عنه (المخزومي، 1986)، وقد تمثل من خلال أداة التوكيد (إنّ) وربطها بالجملة الإسميّة، والتي أكدت معنى زوال الأشياء المادية مثل الجاه والمنصب وعدم ديمومتها، ثم نجد الشاعر يستعين بقوة إنجازية تأثيرية غير مباشرة في ضوء الجملة الخبرية المؤداة بأداة الشرط (إن كنت تنكره... فأين الأول)، فالفعل الكلامي (إن تنكره) يمثل فعلاً إسنادياً متحققاً في الجملة الشرطية المكونة من فعل الشرط وجوابه، والفعل الإحالي (إحالة المخاطب إلى تجسيد الشك في البقاء والدوام)، والفعل الدلالي الذي يحقق القوة الإنجازية التأثيرية،هو عدم التمسك بالأمور المادية الزائلة وذلك لانعدام ديمومتها وزوال نعيمها.

كما نجد في آخر البيت معنى حوارياً يحمل دلالة استلزامية وهو الاستفهام، بقوله (فأين الأول؟)، فالاستفهام يُستعمل لإنجاز أفعال كلامية غير مباشرة، ولكن يراد منها تحقيق معنى مختلف عن الاستفهام يتحدد بحسب السياق، وهو هنا الوعظ والتبصير في رغبة من الشاعر أن يبصّر الوالي ويعلّمه ويعظه، بتعميق معنى الزوال والعدمية وعدم إنكاره بضمان وصول الولاية إليه (هنوش، 2016).

ولا يخفى، هنا، دور المتلقي الذي يُعوّل عليه في الخطابات التداولية، بالقيام بعملية تأويلية كاشفة على تقدير طرف المشاكلة الأول باعتباره مقدّراً في البيت، وهو غرس الوالي للأشجار حول المسجد، ومن ثم تكفلت صياغة الشاعر بذكر الطرف الثاني (اغرس من الفعل الجميل غرائساً)، لتكتمل بنية المشاكلة التقديرية والمعنى العميق للطرف الثاني: اصنع صنائع المعروف الباقية.

ولما كانت غرس صنائع المعروف تُفهم بسياق الحال، فلقد استطاع الشاعر أن يوظف الإيهام الشعري من خلال آلية تداولية هي **الاستعارة بأسلوب المشاكلة**، حيث شبه صنع المعروف بالغرس لديمومته ومنفعته، انطلاقاً من أنّ بعض المعاني في الشعر لا تُدرك إلا من خلال الإيهام، كما نجد الشاعر قد لجأ إلى العدول في استعارة اللفظ لمعنى جديد غير متوقع، وإلى التغاير في الدلالة السياقية لإنتاج علاقة جديدة بين المدلولات، انطلاقاً من أنّ "المشاكلة لا بد أن يكون من ورائها قصد فني" (عبد الكريم، 2017).

إنّ عدول الصياغة بما هي نمط أسلوبي متحقق بالتغاير، الذي يصاحب الدلالة السياقية في بنية المشاكلة، تسعى إلى إدراك المعنى الضمني الذي يتم الوصول إليه بالاستعانة بمجال من مجالات البحث التداولي، وهو ما يُسمى "بنظرية أفعال الكلام"، ولنا أن نمثلها في البيت الشعري على النحو الآتي:

فعل القول: اغرس.

الفعل المتضمن في القول: ما يحمله الفعل (اغرس) من قوة إنجازية حرفية دالة على معاني الرسوخ والبقاء.

الفعل الناتج عن القول: تمثل بإحداث أثر في المتلقي وهو الوالي في النص الشعري، لحثه على التركيز على الأمور المعنوية الجميلة وتحسين هذا الفعل لديه، فقول الشاعر ينطوي على مقصدية أعمق من مجرد إخباره بظاهر القول، فبالاعتماد على معطيات الحال في البيتين نجد المقصدية ماثلة في تجسيد المفارقة بين المحسوسات والماديات، التي تبدو برّاقة ولكن سرعان ما تزول، وبين المعنويات التي تدوم وتبقى في سعي مضمر لترسيخ فكرة بقاء الأشياء المعنوية الجميلة، من خلال الفعل الكلامي المحمّل بالقوة الإنجازية (اغرس) في مقام (اصنع).

ويمكن التمثيل بالمخطط الآتي:

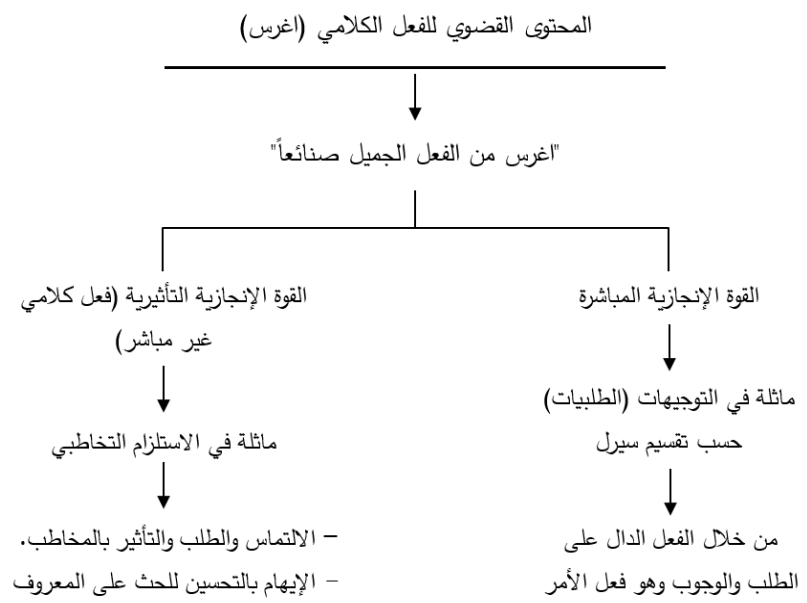

وفي ضوء مطالعة البيتين مطالعة متأملة فاحصة نجد الأفعال الكلامية المباشرة الماثلة فيها تتبين كالآتي:

أ- **التوجيهات (الطلبيات):**

ويضم هذا النوع من الأفعال الكلامية كل الأفعال الدالة على الطلب، وقد جاءت في البيتين في فعل الأمر (اغرس)، وربما ترتقي قوة هذا الفعل إلى الأمر الحقيقي فهي صادرة من شاعر إلى الوالي، وهو القائد والزعيم الذي يأخذ بنصيحة الناصح، وورود الشعراء على مجلس الولاة والأمراء ونصحهم من خلال شعر الحكمة والموعظة، أمر قارّ في تاريخنا العربي الإسلامي.

ب- **الإخباريات**: وتشمل الأفعال التي تصف وقائع وأحداثاً في العالم الخارجي ونجد في البيتين ماثلة على النحو التالي:

1- المثبتة: فالإثبات فعل كلامي يقتضي وصف حدث خارجي (المبخوت، 2010)، ويتجلى في قول الشاعر في البيت الثاني بأكمله، فالفعلين (اغرس، عُزلت) يصنفان ضمن الإخباريات، فالشاعر أراد هنا إرسال رسالة عن طريق فعل إخباري يتضمن وصف قضية خارجية، هي الدوام والبقاء فقط لصنائع المعروف والأفعال الجميلة.

2- المنفية: فالنفي أسلوب لغوي تحدده مناسبات القول، ويُستعمل لرفع ما يتردد في ذهن المخاطب، ومن الأفعال الكلامية الوارد في البيتين (لا تُعزل) وقوله (لا تدوم)، فالفعل الكلامي (لا تعزل) هنا إخباري، والغرض المتضمن منه هو نفي زوال الأفعال الجميلة مع تقادم الإنسان من أذهان البشر، وكذلك الفعل (لا تدوم) هنا إخباري، والغرض منه نفي دوام الولاية لأي إنسان فهي من الأشياء الزائلة.

3- المؤكدة: فأسلوب التوكيد فعل كلامي يسعى لتقوية الخبر وتوكيده، وقد ورد في البيت بأداة التأكيد إنّ مرتين: "إن الولاية لا تدوم" فأراد بها توكيد فكرة الزوال للماديات، ثم قوله "فإنها لا تعزل" وأراد بها توكيد الديمومة للصنائع المعنوية.

ج- **الوعديات**: وهي كل فعل كلامي، يقصد به المتكلم إلزام نفسه طوعاً بفعل شيء ما للمخاطب في المستقبل، بحيث يكون المتكلم مخلصاً في عمله (نحله، 2002)، ويمكن تصنيف بيتي الشاعر ضمن الوعديات من خلال الفعل الكلامي الوعد والضمان، وهو ضمان الشاعر للمخاطب بعدم زوال منافع الأمور الحسنة وصنائع المعروف، وقدرة المتكلم على هذا التعهد، مبعثها أنّ هذا الأمر مألوف في إطار العلاقات الاجتماعية وفي مدونات الشعراء.

لقد أراد الشاعر أن يلفت نظر الوالي، لما هو أجدى وأنفع وأدوم في حالته للتركيز عليها في حياته، وهذا في أسلوب المشاكلة يُعدّ **"الإيهام بالتحسين"**، يشير بطريقة بارعة إلى معنى صنع المعروف وفضائله التي تدوم بين الناس، فالشاعر بتوظيفه لأسلوب المشاكلة يشير إلى بعض الأفعال التي يراد لها أن تكون أو يمتنع عنها لسوء ما فيها، وفي حديث الشاعر عن الحكمة وحُسن صنع المعروف يبرز قيمة الفعل من خلال الإيهام؛ لأنّ بعض الأشياء لا تبدو قيمتها إلا من خلال إيرادها في هيئات غيرها؛ لأنّ الشاعر في بعض معانيه يسلك طريقاً غير طريق الحقيقة، إذا أراد التقريب والتمثيل وحيث يقصد التلطف والتأويل، إذ بعض المعاني لا يُدرك إلا من خلال الإيهام، وفي هذا الصدد أشار جابر عصفور إلى أهمية الإيهام وفعله في المتلقي

بقوله إنّ "التأثير في المتلقي لا يمكن أن يتم إلا بلون من الإيهام، يخال معه المتلقي أن ما يراه هو الحقيقة أو ما يجب أن يكون في الواقع" (عصفور، 1991م).

لقد أراد الشاعر بتوظيف المشاكلة بوصفه أسلوباً تداولياً أن يقدم "نظرة خاصة"، وهي نظرة صادقة، تكون في غالب الأحيان معانيها مألوفة لدى الناس، لكنها في أسلوب المشاكلة تبدو مبتكرة، فصنع المعروف بين الناس وفضائله وديمومته في ذاكرة البشر الجمعية أمر مألوف في إطار العلاقات الاجتماعية، بَيْد أنّ تقديمه بهذا الأسلوب التخييلي يترك أثراً وتحسيناً أكثر من سياقه بالأسلوب اللغوي الاعتيادي، وهذا مبعث الجمال في أسلوب المشاكلة، وإتقان الشاعر المبدع الذي "يستعين بمخيلته التي تعمل في رعاية العقل، ليعرض على المتلقي المعاني القديمة أو الأفكار المقررة في شكل جديد يمثل أمام ناظريه" (عصفور، 1991م) وكأنها حقيقة ثانية لا تختلف في جوهرها عن الواقع.

- 2 -

قال أبو الرقعمق أحمد بن محمد الأنطاكي (339هـ):

إخواننـــــا قصــــدوا الصــــبوح بســـحرةٍ	فـــــأتى رســــــولهم إلـــــيّ خصوصـــــاً
قــــالوا: اقتـــرح شـــيئاً نُجِــد لـــك طبخـــه	قلـــت اطبخـــوا لـــي جُبّــــة وقميصـــاً

جاء عند السبكي أنّ البيتين يضربان شاهداً على المشاكلة التحقيقية، حيث أقام الشاعر اطبخوا مقام خيطوا، والذي سوّغ الطبخ بجانب الجبّة والقميص وقوع الطبخ الحقيقي مصاحباً له في البيت بقوله "نُجد لك طبخه"، كأنه قال خيطوا لي فذكر الخياطة بلفظٍ ليس لها (السبكي، 2003).

ولقد أكّد البلاغيون على طابع الثنائية (التوافق / التخالف)، في دراستهم لبعض ألوان البديع كالمشاكلة والجناس وغيرها، حيث يتعالق التوافق بالبنية السطحية ويتعالق التخالف بالبنية العميقة، مؤكدين في السياق نفسه على وجود بعض أشكال المفارقة في بني البديع كالمفارقة اللغوية؛ فعلى المستوى السطحي يقوم التماثل ونجده واضحاً في قوله طبخه ——توافق——> اطبخوا، فهنا إشارة إلى الطبخ الحقيقي المتعارف عليه في أصل اللغة، بينما على المستوى العميق تتحقق المغايرة كالآتي: طبخه ——تخالف——> خيطوا، فدال الطبخ يشير إلى مدلول الخياطة وقد دل على ذلك سياق البيت وحال المقام.

وسياق الحال هنا يتلخص في أنّ الشاعر له أربعة إخوة كان ينادمهم أيام كافور الإخشيدي، فجاءه رسولهم في يوم قارس البرد، وكان الشاعر، آنذاك، في حالة يرثى لها من الفقر، وليس عليه ثياب تقيه من البرد، فقال له الرسول: إنّ إخوته يدعونه لتناول الطعام معهم حيث ذبحوا شاة سمينة، وأن يشتهي ما يطبخونه له منها، فجاء ردّ الشاعر بالبيتين اللذين يمثلان الوجه الاجتماعي للغة، ويمكن لنا أن نحدد القراءة التأويلية للبيتين باعتماد آليات التحليل التداولي على النحو الآتي:

الافتراضي المسبق: فهو ذو طبيعة تداولية، ويرتبط عملية التقاطه باستنطاق السياق المقامي، وما يحيل عليه من ذوات حقيقية ومرجعيات فكرية وسياسية، إذ ينطلق المتخاطبون في التواصل الحواري اللساني من افتراضات اتفاقيّة مضمنة في السياقات الكلامية، ومعترف بها فيما بينهم فتؤسس لنجاح عملية التواصل، وفي العودة لسياق البيتين، فقد كان الشاعر يؤسس لخطاب مضمر إلى إخوته انطلاقاً من معرفته السابقة بهم وعلاقته معهم؛ ليحدد طبيعة حواره وطلبه لهم، فجاءت رسالته لهم بمدلولها الآتي: "أنتم تعرفون حالتي ووضعي فحاجتي إلى الثياب أشد من الطعام في مثل هذه الأجواء"،وبحسب رؤية العالم اللغوي ديكور، فإنّ هذه الرسالة تشكل الافتراض المسبق الذي يعرّفه بقوله: "العنصر الدلالي الخاص بالقول أو تحويله إلى الاستفهام هل؟ أو نفي لا" (بلخير، 2003م).

فإذا حولنا الرسالة إلى الاستفهام: ← هل تطبخون لي وأنتم أعرف بحاجتي إلى الثياب؟

وإذا حولناها إلى النفي: ← لا تطبخوا لي فأنا بحاجة ماسة إلى ما هو أهم من الطبخ.

وقد وضع ديكرو أسس نظرية الحجاج في اللغة، وهي نظرية تتأسس على بيان ما يتضمنه القول من قوة حجاجية، تمثل مكوناً أساسياً لا ينفصل عن معناه، يجعل المتكلم في اللحظة التي يتكلم بها يوجه قوله وجهة حجاجية (العزاوي، أبو بكر، 2009)، ويتأسس الحجاج عنده على تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة فيما أسماه السلم الحجاجي ويمكن تمثيله كالآتي:

النتيجة (ن) ↑ خيطوا لي جبّة وقميصاً فليس لي رغبة بالطعام.

الحجة (ج) - اطبخوا لي جُبّة واطبخوا لي قميصاً.

الحجة (ب) - التركيز على ما هو أجدى وأهم أنفع له في حالته (سياق مقامي).

الحجة (أ) - إنكار الطبخ له وهم أعرف بحاجته إلى الثياب (استفهام إنكاري).

إن فعل قوة اللفظ يؤدي في هذا السياق معنىً إضافياً يكمن خلف المعنى الأصلي، ويريد الشاعر بهذا الفعل أن يحقق قوة إنجازية وكذلك قوة

تأثيرية يدفعهم من خلالها لتلبية مطلبه الحقيقي، وهذا يعني أنّ نجاح الفعل الكلامي بإلقائه ظلالاً تأثيرية على المتلقي، كقلب اعتقاده أو جعله يتعاطف مع رأي معين مرهون بوجود افتراضات مسبقة معينة، والتي تمثلت هنا في معرفتهم السابقة به.

الأقوال المضمرة أو المسكوت عنه: يعمل القول المضمر عندما تشتمل عملية فهم النص على إمكانية إدراك الانقطاع على مستوى سطح النص، إذ يميل المتكلم إلى حذف بعض العناصر أو إسقاطها من الكلام، اعتماداً على معرفته قدرة المخاطب على فهم العناصر المحذوفة وإدراكها من خلال قرائن السياق (الفقي،2000)، وثمة قيمة للقول المضمر لا تقل عن قيمة الأقوال المذكورة في النص؛ فهو يساعد على الفهم السريع للمعنى، ويسهم في خلق الوظيفة التأثيرية التي تثير انبعاث المتلقي، مما يجعله في علاقة تفاعلية دائمة مع النص، والقول المضمر لا يتحقق في الواقع إلا وفق خصوصيات سياق الحديث، ففي قول الشاعر: "قلت اطبخوا لي جبّة وقميصاً" نستطيع تلمّس المسكوت عنه في قول الشاعر المعلن من باب:

- التركيز على موضع رغبته ومركز عنايته وهو الكسوة من الثياب يتقي بها البرد القارس.
- الإسراع في تلبية طلبه لشدة حاجته له، إذ الطبخ أسرع من الخياطة.
- لفت الانتباه لما هو أجدى وأنفع في فصل الشتاء للفقير المحتاج.

وغير ذلك من التأويلات التي يوردها السياق والطبقة المقامية التي يُنجز ضمنها الخطاب، وهذا يعني أن دلالة الخطاب هي سيرورة لمجموعة من التأويلات وليست موطئ ثابت (بلخير، عمر،2003م).

وقد كان الشاعر فطناً في صياغة بيتيه الشعريين، فقد ترك فيها مؤشرات لفظية تقود إلى دلالته ومعناه المضمر أو ما نسميه "المقتضى"، نجدها في قوله (جُبّة وقميصاً) فهما لا يطبخان بل يُخاطان، والذي قاد إلى هذا التأويل المعرفة المسبقة بالسياق الذي ورد من خلاله هذا الملفوظ، فعادةً "توجد في صلب الخطاب... مؤشرات لفظية تسبق الخطاب المفارق أو تتبعه، وتساعد القارئ على حسن التأويل" (الراشدي، 2015).

ويظهر في البيتين السياق الحواري بما هو سياق حجاجي يسعى لإقناع المخاطب وتفسير مقصده، حيث يقترح فيه الطرف الأول دال البنية الأولى (طبخه)، ويُكمل الطرف الثاني بنية المشاكلة بالدال الثاني (اطبخوا) مخالفاً بذلك مقتضى الظاهر، ولكن هذه البنية العدولية تجسّد سبق الصياغة اللفظية للحركة الذهنية عند المبدع، وهذا السبق ناتج عن رغبة جامحة في سد حاجته وكسوة عارية، لذلك جاء تأويل اللفظ (اطبخوا) بمعنى خيطوا، والسبب لدلالة المعمول عليه لقصد المشاكلة بين الكلامين، فلقد عبّر الشاعر عن الخياطة بالطبخ تشبيهاً لها به في كونها مما ينبغي أن تكون موضع رغبتهم ومحل عنايتهم، إذ كانت رغبتهم متجهة إلى الطبخ ليأكل ما طبخوه، فينبغي أن تكون منهم تلك الرغبة في خياطة جبّة وقميص يقيانه شر البرد.

نظرية الأفعال الكلامية: لا يبتعد كلام الشاعر عن أبعاد نظرية أوستن، والتي يمكن لنا تمثّلها بالآتي:

- فعل القول: وتتمثل في الفعل (اطبخوا) موقع الشاهد من البيت.
- الفعل المتضمن في القول: ويتضح في تلك القوة الإنجازية المتمثلة في فعل (اطبخوا) الدالة على السرعة في الإنجاز وتحقيق المطلوب لشدة الحاجة إليه.
- فعل التأثير بالقول: وهو ما يحمله المرسل بكلماته من مقاصد معينة في سياق محدد تعمل على تبليغ رسالة تُحدث أثراً، في وسيلة للتأثير في مشاعر المتلقي ومواقفه وسلوكه لحمله على سلوك معين (فياض،2018م)، لذا سعى الشاعر لتبليغ إخوته برسالة بأن يشعروا بحاله، بغية التعاطف معه وذلك لإقناعهم وإرشادهم لتلبية رغبته ومطلبه، ويكون الشاعر في تلك البنية اللغوية التي حمّلها مقصده، قد توصل إلى غرضه من خلال توظيفه لتقنية "الاستلزام التحادثي / الحواري)، كما أسماه أوستن الفعل الناتج عن القوة أو الفعل التأثيري، وهو الإرشاد والتنبيه لهم لما يريد من حاجة بأسلوب استعاري رائع.

وعليه فإنّ قول الشاعر: "قلت: اطبخوا لي جبّة وقميصاً" محتوى قضوي قوته الإنجازية المباشرة ظاهرة في فعل الأمر الذي يُحمل على الطلب الحقيقي، بينما قوته الإنجازية غير المباشرة، تتمثل في الطلب المهذب "الالتماس" بالتنبيه لهم لما هو أنفع له، لذا احتوى قول الشاعر على فعل إسنادي مغاير، وهو القصد الحقيقي من وراء الجملة.

وتظهر الاستعارة باعتبارها فعلاً كلامياً غير مباشر، بحسب توجه سيرل، في الفعل الإنجازي (اطبخوا) ففيها استعارة لمشابهة الطبخ للخياطة والإطعام للكسوة في النفع، حيث صرح بالمشبه به (الطبخ) وحذف المشبه (الخياطة)، منطلقاً من أنّ كلاً منهما لازم للإنسان ومن حاجاته الضرورية، لذا وفّق الشاعر في إنتاج رسالته وتبليغها بمقصدها وإحداث الأثر المطلوب، من خلال مُنجز الاستعارة كمنجز تداولي ضمن نظرية التعاون، رغبة منه بإجابة مطلبه على وجه السرعة، إذ عملية الطبخ أسرع من الخياطة لذا أبقى على فعل الطبخ لدلالة السرعة، وأشار إلى فعل الخياطة للثياب بدلالة الجُبّة والقميص، وهذا الأمر يتيح للمتلقي أن يتحرك حركة ذهنية لكي يربط بين المعنى الظاهري والمضمر، وبذلك يتأكد المعنى في نفسه.

وقد أشار الطاهر ابن عاشور إلى علاقة المشاكلة بالبنية الفنية للاستعارة موضحاً العملية بأنها الاتيان بالاستعارة بداعي مشاكلة لفظ للفظ وقع معه، فإن كان اللفظ المقصود مشاكلته مذكوراً فهي المشاكلة (ابن عاشور، د.ت).

إنّ أسلوب المشاكلة أسلوب يتجلى فيه الإيهام، الذي يحث المتلقي على الفعل أو تركه، وذلك اعتماداً على محاكاته في غيره، فالشاعر ذكر الطبخ في جوابه مع أنه لا يريده، وذلك بحسب سياق الحال علم أنّ فيهم رغبة في الفعل بدليل قولهم: "قالوا: نُجد لنا طبخه"، فأراد أن يرغبهم في فعل غيره مشاكلاً لما أرادوا، **وهذا إيهام الشيء في غيره لغرض تحسينه**، أو ما يمكن لنا تسميته "**الإيهام بالتحسين**"، وفي هذا السياق أشار حازم القرطاجني إلى أنه قد يخيّل في بعض الأمور لحمل النفوس على فعل شيء أو طلبه أو اعتقاده... بأن يوقع في غالب ظنها أنه خير... بطريق من الطرق التي يُقال بها في الأشياء أنها خيرات (القرطاجني،1964م).

ولذا فإنّ الشاعر وإن كان يشتهي كسوة كما يشتهي غيره من الطعام، فإنّ المشاكلة التي حققها في بيتيه قد بلغت مطلبه ورسالته.

-3-

قال عمرو بن كلثوم في معلقته يفخر بقومه:

ألا لا يعلَـــــــــمُ الأقـــــــوامُ أنّـــــــا	تضعضـــــعنا وأنّـــــا قـــــد ونينـــــا
ألا لا يجهلـــــــــن أحــــــــدٌ علينـــــــا	فنجهــــــل فـــــوق جهـــــل الجاهلينـــــا

تقدم مدونات البلاغة الشاهد الشعري نموذجاً للمشاكلة التحقيقية التي تقوم على التكرار اللفظي، في انسجامه مع المستوى الصوتي الإيقاعي والتأثير الدلالي الكامن في اللفظية الثانية، ولقد ساق الرّماني هذا الشاهد في معرض حديثه عن التجانس، حيث عَدّ المشاكلة جناساً، بل أحد أنواعه وهو جناس المزاوجة، وهو جناس يقع في الجزاء كقوله تعالى: (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه) مؤكداً قول العرب أنّ الجزاء بالجزاء والأول ليس بجزاء وإنما هو على مزاوجة الكلام، فقوله تعالى (فاعتدوا عليه) أي جازوه بذلك (الرماني، 1968).

تدور معلقة عمرو بن كلثوم حول موضوع الحماسة والفخر، حيث يفخر الشاعر بقومه، فهم شُمّ عرانين وأبطال لا يتضعضعون عند الشدائد، ولا يضعفون عند المِحن، ويُجازون من يجهل عليهم بما يستحق من العقاب، وبهذه القراءة السياقية فإنّ لفظ الجهل الأولى محمولة على الحقيقة وهو جهل نقيض العلم بالشيء، بينما لفظ (فنجهل) الثانية محمولة على الجزاء أي نجازيه بما يستحق عن طريق العدل، جزاءً يُربي عليه، فسمّى جزاء الجهل جهلاً لازدواج الكلام وحُسن تجانس اللفظ (الزوزني، 1984م)، فلقد زاوج الشاعر بين الشرط (ألا لا يجهلن) والجزاء (فنجهل) فاستعار اسم الشرط للجزاء، أي استعار للجزاء على الجهل اسم الجهل لتحقيق الدلالة أنّ وبال الجهل راجع عليهم ومختص بهم، فجاء به عدل الشاعر من باب الإنذار براجع الوبال فقط وليس ضد الجهل جهلاً، بل هو الجزاء على وجه التحدي والتضاد والمغايرة.

إنّ التوجيه الدلالي لمقصدية الشاعر هو تحقيق لمعنوية المشاكلة، والتي تأتي بصورتين متناقضتين في الدلالة، بيد أنّ التشاكل قائم بينها شكلاً وإيقاعاً، ويمكن لنا تصوّر الدلالة على المستوى السطحي والعميق بالآتي (كريش،2014م):

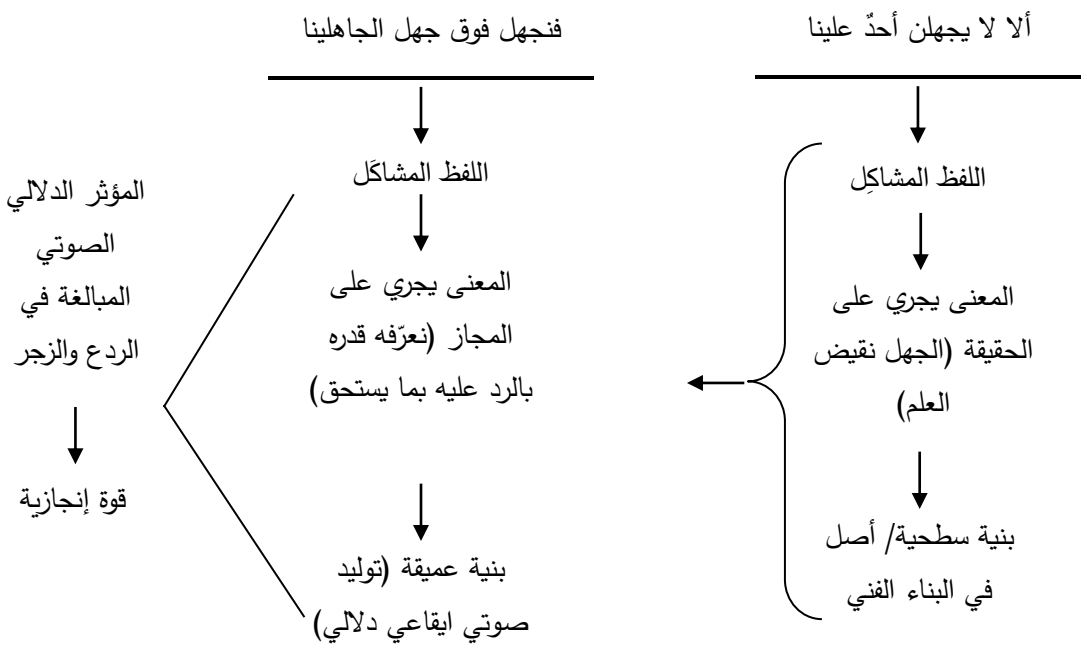

يقوم الفعل الكلامي مهما كان نوعه على مفهوم المقصدية أو القصدية، والتي تعد في النصوص ظاهرة لسانية تداولية، يحتاج الوصول إليها إلى

الوقوف على القرائن السياقية وملابسات الموقف، والاستعانة بالقدرات الاستنتاجية كونها تكون مضمرة في النص، ولما كان عجز البيت يقوم على الجزاء، فإنه محمّل بدلالات الترهيب والتخويف من خلال مخالفة الظاهر، حيث جاء ردّ الفعل على العدوان المتوقع بالفعل نفسه (فنجهل)، وبذلك يكون المقصد أو المعنى المضمر = إننا قادرون على رد العدوان وعلى معاقبة كل من يسفه به وبقبيلته بالعقاب المناسب، يؤهلهم لذلك ما يتمتعون به من سمات البطولة والفروسية والبأس، وفيما يبدو أنّ تكرار دال الجهل (3) مرات في الشطر الثاني، هو تجسيد واضح لدلالة استلزام مخاطبي يحمل معنى **التحذيروالتخويف والترهيب** بما هي فعل تأثيري يحمل قصدية أعمق من الإخبار.

إنّ القراءة التداولية لبيتي الشاعر في تحقيقه لغرضه وهدفه تكشف استعانة الشاعر بأدوات حجاجية تدعّم حجته المقصودة، فقد بدأ بأداة الاستفهام (ألا)، والتي هي توجيه إنذار عام إلى كل أعداء قبيلة الشاعر، باعتبار أنّ هذه الأداة على المستوى النحوي هي أداة استفتاح لها قوة حجاجية تتأسس على جذب الانتباه ولفت الأنظار إلى شيء مهم يُراد أن يُقال، فجذب الشاعر انتباه أعداد قبيلته بها، ثم انتقل إلى فعل كلامي دال على النهي والكف عن العمل بقوله (لا يجهلن أحد علينا) وغرضه الإنجازي التأثير في المتلقي

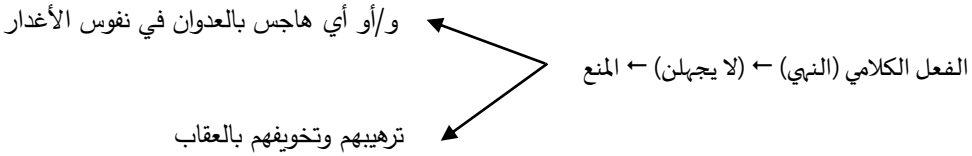

لقد جعل الشاعر المتلقي وهم أعداء قبيلته، صوب عينيه في دائرة تواصلية واحدة، في ضوء أسلوب النهي الذي يمثل أَمارة على اهتمامه بالمتلقي، بوصفه عنصراً فاعلاً في المثلث التداولي (المنتج، النص، المتلقي). ثم استعان الشاعر بأسلوب نحوي، كما أوضحنا، وهو أسلوب الشرط القائم على الجزاء، حيث يمكننا استشراف القوة الإنجازية التأثيرية غير المباشرة في ضوء الجملة الشرطية (لا يجهلن... فنجهل)؛ **فالفعل الكلامي** (لا يجهلن) يمثل فعلاً إسنادياً متحققاً في الجملة الشرطية، **والفعل الإحالي** (إحالة أعداء قبيلة الشر إلى الكف عن الاستهزاء والسخرية بهم لما له من عواقب وخيمة عليهم) **والفعل الدلالي** الذي يحقق القوة الإنجازية التأثيرية هو الترهيب والتخويف لأعداء قبيلته لردعهم وزجرهم بالقوة.

وقد أشار ابن الأنباري، وهو يشرح المعلقة، لمقصدية الشاعر في بيته قائلاً: "ولا يجوز أن يكون قول عمرو (بن كلثوم) اعتراضاً منه بالجهل وتثبيتاً منه إياه لنفسه، لأن الجهل لا يستحسنه أحد ولا يرتضيه" (ابن الأنباري، 1993).

وبحسب تصنيفات سيرل للفعل الكلامي يمكن لنا تلمّسه في قول الشاعر من خلال ثلاث تصنيفات:

أولاً: الأفعال التوجيهية "الأمريّات – الطلبيات" والغرض منها حمل المخاطب على أداء فعل معين أو نصحه للتصرف بطريقة ملائمة، ونجدها في قول الشاعر في صيغة النهي (لا يجهلن... فنجهل)، فكان قول الشاعر بمثابة رسالة لأعداء قبيلته ليحسنوا التصرف مع قومه، ويبتعدوا عن السلوكات غير المرضية كون جزاء فعلهم سيكون وبالاً عليهم.

ثانياً: الأفعال الوعدية (الالتزاميات): الغرض منها أن يلتزم المتكلم القيام بعمل ما في المستقبل، وفي قول الشاعر نجده يتوعد أعداء قبيلته بالرد عليهم ومجازاتهم بسوء صنيعهم إن فكروا في السخرية والعدوان على قومه؛ انطلاقاً من معرفة الشاعر المسبقة بقوة رجال قبيلته وشدة بأسهم.

ثالثاً: الأفعال التعبيرية "البوحيات" فنجد الشاعر يُظهر امتعاضه لسوء تصرف أعداء قبيلته في السخرية بهم، واعتزازه وفخره بشجاعة أبناء قبيلته وهي دعوة نجدها واضحة في قول (أنّا قد تضعضعنا... وأنّا قد ونينا).

إن التكرار وإن كان محسناً بديعياً لا يقف دوره عند الوظيفة الشكلية، فله دور حجاجي يقوم على الإقناع والتأثير في التلقي لتغير سلوكه، وهذا هو المقصد الحقيقي من الحجاج، ويمكن أن نربط ذلك بفاعلية المشاكلة في السياق الدلالي الصوتي، الذي يمكن ترسيخه وفق رؤية أسلوبية، ترى أنّ اللفظة المترددة تكراراً في العبارة يكتمل معها الإيقاع الموسيقي، الذي يولّد التكرار الصوتي، ويمكن هنا إخراج اللفظ إخراج غيره في المعنى، إلا أنّ المحافظة على صورته أوجب لتحقيق التلاؤم والتماثل في الشكل والإيقاع، فلو كان الشاعر قال: فنرد عليه أو فنجازيه على جهله أو نعاقبه ونمنع جهله، لما أفاد تلك الإفادة التي أفادتها المشاكلة، فضلاً عن أنّ هذا الإخراج يبقى قادراً على استدراج المتلقي، وإثارة دهشته ولفت نظره إلى التماثل الصوتي الحاصل ما بين الألفاظ في تسلسل يستدعي منه الإعجاب، وبحثه على كشف المسكوت عنه والمقصدية الخفية وراء الخطاب الشعري، انطلاقاً من رؤية تداولية تؤمن بأنّ المشاكلة وفق بنية التكرار تخفي وراءها قصداً فنياً ويكون لها من القيمة ما هو أكبر.

إنّ المشاكلة بما يتجلى فيها من إيهام شعري، تكتسب طابع حجاجي يتوجه نحو المتلقي ليدفعه إلى فعل ما أو يثنيه عن فعل ما، ويكون ذلك باستخدام آلية "التحسين والتقبيح"، وفي المشاكلة قد يومئ اللفظ إلى شيء لا يرجى وقوعه، وهنا تؤدي المشاكلة إيهاماً بالتقبيح، ويتحقق هذا الإيهام في قول عمرو (لا يجهلن – فنجهل) إذ الحمولة الدلالية للفعل الكلامي يحمل مستلزماً من باب: التحذير والوعيد والتهديد، فيكون الشاعر بهذا قد حمّل لفظه القضوي قوة إنجازية: قوة الردع وشدة الزجر لأعدائه.

إنّ التنبيهات التي يحتاجها الإنسان أكثر ما تكون في الخاصية التخييلية للشعر؛ لأنّ القصيدة "تنطوي على معطيات بينها وبين الإثارة المرجوة

علاقة الإشارة الموحية، وتُحدث العملية فعلها عندما تستدعي خبرات القارئ المختزنة والمتجانسة مع معطيات الصور المخيّلة" (عصفور، 1995) والإشارة في بيت الشاعر تتوضح في تصوره على ردّ الظلم بما هو أعظم.

- 4 -

مـــــررتُ بطبـــــاخٍ بجلّـــــقَ عـــــارفٍ ... بأســـرار طهـــي الـــرز واللحـــم والشـــحم
فســـألته: هـــل منـــك مـــا يُمســـك الحشـــا ... وقـــد كـــاد منـــي الجـــوع يفتـــك بالجســـم
فقـــــال: ألا اســـــقيك مـــــاءً مثلجـــــاً ... فقلـــت: اســـقني الـــرز المتـــوّج بـــاللحم
وإلا اســـــقنيه كربجـــــاً وكنافـــــةً ... ولا تســـقني مـــا لـــيس يُبنـــى بـــه عظمـــي

تعد المشاكلة في المقطوعة الشعرية مشاكلة تحقيقية تتأسس على بنية الحوار باعتباره، هنا، بنية حجاجية تتغيّا التركيز على الأولى والأهم، وتتولى مهمة الإقناع والتعديل لما هو مطلوب، فقد دخل الأعرابي دمشق وهو جائع فرأى حانوتاً فدخله، وإذ به طعام شهيّ فظنه داراً للضيافة مشرعة للقادمين، فسأل الطبّاخ أن يقدّم له ما يسد به جوعه، فداعبه الطباخ بذاك الحوار الذي دار بينهما.

تظهر المشاكلة اللفظية في الفعل (اسقيك) حيث جاءت في صدر البيت الثالث بدلالتها المعجمية، ثم صاحبتها السقيا الثانية في عجز البيت وصدر البيت الرابع محمّلة على معناها المجازي: اسقني = اطعمني / أعطني من الطعام والحلوى، فجاءت الدلالة المجازية ناجمة عن السقيا الأولى لمصاحبتهما في المجاورة.

تبدأ العملية التحاورية بسؤال يوجه الأعرابي إلى الطعام من خلال أداة استفهام حجاجية (هل)، التي هي فعل كلامي غير مباشر لم يُرِد به الأعرابي إجابة، بل خرج **لمقتضى إنجازي هو الأمر والطلب**، أي زودني بما عندك من الطعام أمسك به الحشا وأسد به الجوع. فجاء ردّ الطباخ بأداة الاستفهام (ألا)، والتي هي **مقتضى بلاغي يحمل معنى التنبيه**، وكأنه ينبهه إلى حاجته إلى الماء المثلّج بعد هذه المعاناة من السفر، حيث أتبع أداة الاستفتاح بالفعل (اسقيك) لتوضيح غرضه للأعرابي وهو تقديم الماء له، فيكون الطباخ بذلك قد حَمّل فعله اللفظي قوة إنجازية من خلال **معنى إضافي هو "المداعبة"**، دليل ذلك أنّه يمتلك افتراضاً مسبقاً أنّ الجائع لا يسد رمقه إلا الطعام، ولا يشفي الماء غليله ولا يُسكت جوعه، "إذ ينطلق المتخاطبون في التواصل اللساني من افتراضات اتفاقية مضمنة في السياقات الكلامية، ومعترف بها فيما بينهم، فتؤسس لنجاح عملية التواصل" (فياض، 2018). وبذلك يُفهم فعل "المداعبة" كفعل تداولي له ما يصدقه في واقعنا الاجتماعي.

والخطاب في العادة لا يُعبّر عنه بواسطة الجملة فقط، وإنما ضمن سياق معين يتحدد به الغرض والمقصد للمتكلم وفق المعادلة: قول + سياق = رسالة، وبذلك يتمكن المتلقي من إدراك المعاني الضمنية المخبوءة في الخطاب من خلال المستوى التداولي المقامي، ففي المقطوعة السابقة جاء رد الشاعر على مداعبة الطباخ "اسقني الرز... وإلا اسقينه كربجاً..."، وهو بذلك يقوم بإنتاج مقصده من خلال رسالة تحمل أثراً؛ مضمونها "أريد طعاماً شهيّاً أو حلويات لذيذة أسد بها حاجتي من الجوع". ويريد من هذا الغرض الإنجازي التأثير في المتلقي ليستجيب لمطلبه، وهذا طلب لتحويل ما في الذهن من تصور إلى أمر خارجي يطابقه، ويمكن بيان البعد التواصلي للفعل الكلامي (الأمر) بالآتي:

الفعل الكلامي (الأمر) ← (اسقني... اسقنيه...) الوجوب

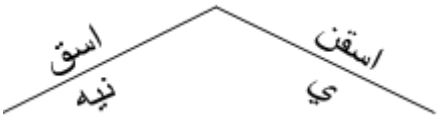

نفي معنى الشراب والتركيز على الطعام

تقديم ما يسد به الحشا من الحلويات

إنّ أسلوب المشاكلة بما له من مقاصد يؤديها المتكلم، وأغراض يرمي إليها يعد من متممات الكلام، فلا تصح بلاغة الكلام إلا به، حيث تشير بلاغة الفعل (اسقني) إلى قوة إنجازية حرفية محمولة على فعل الأمر ضمن أفعال الكلام، يراد بها إنجاز ما يريد من الطباخ، وبتلك القوة الإنجازية أبان عما في نفسه من حاجة وغرض وحقق بذلك عدة مقاصد ضمنية:

- أبرز حاجته وكشف عن مطلبه.
- نبّه الطباخ إلى غفلته وأنه ليس بحاجة إلى الماء كحاجته إلى الطعام في هذا الوقت.

ولقد جاءت البنية التخاطبية الحوارية خارقة لمبدأ التعاون لدى غرايس من خلال خرق قاعدة الملاءمة، فلم يكن رد الأعرابي على سؤال الطباخ

مناسباً وملائماً، وفي حال خرق إحدى القواعد تحصل ظاهرة الاستلزام التخاطبي والتي يمكن تمثيلها بالمخطط الآتي:

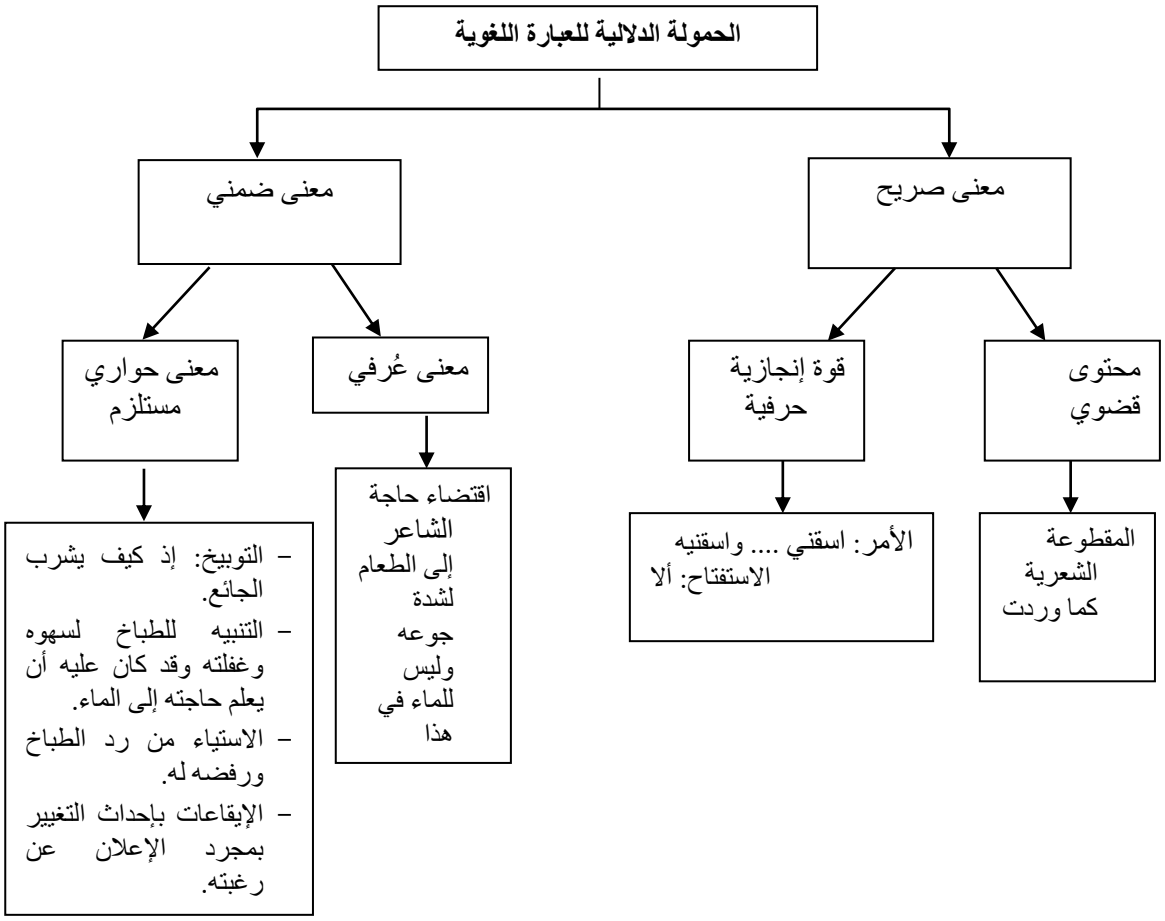

وبالنظر إلى المخطط السابق فإنّ رد المتكلم على سؤال الشاعر قد أحدث التأثير في نفس الشاعر، وهذا من مهام الخطاب في سياقه التداولي أن يستثير المتلقي ويحفزّه بغية الوقوف عند المعنى المقصود، وبذلك تمثلت ردة الفعل بإنجاز أفعال كلامية مؤثرة، بما هي إحدى أقسام الفعل الكلامي، وقد تمثلت في السياق الشعري بالتوبيخ والتنبيه، فالمتكلم -وهو الشاعر هنا- حين يقول شيئاً ما يحاول توصيل ما يعنيه ويضمره للمتلقي، وقد فعل ذلك في صورة موجزة دون إطناب أو تطويل، ولذا فإن الفعل التأثيري هو فرصة للوقوف على سلامة وصول الرسالة أو سلامة الفعل الإنجازي.

- 5 –

يقول ابن جابر الأندلسي:

قالوا اتخذ دهناً لقلبك يشفه قلت ادهنوه بخدّها المتورّد

تتداول مدونات النقد والبلاغة الشاهد الشعري مثالاً على المشاكلة التحقيقية، بوضع الشاعر "ادهنوه" مكان "متعوه" لمشاكلة دهناً السابقة في صدر البيت، سعياً من الشاعر للإبقاء على نغمة وشحنة لفظ الدهن والدهان.

ويكشف البيت عن الإبهام الشعري بأسلوب المشاكلة من خلال اللفظ (ادهنوه)، إذ اللفظ في داله الأول موجه نحو دلالته المعجمية التي تشير إلى ذاك الدواء المتعارف عليه، الذي يشفي الألم في الجسد وتحديداً في القلب، أما في داله الثاني فهو موجه توجيه مجازياً، والقصد منه استعارة الملاصقة واستجلاب الدفء من الخدّ المتورد من محبوبته، وبذلك يتحقق البناء الفني لأسلوب المشاكلة القائم على "المغايرة في الدلالة السياقية بين اللفظ الأول (المشاكَل) والثاني (المشاكِل)" (كريش،2014م).

لقد أحسن الشاعر التعبير في بيته، فقدّمه بأبلغ عبارة مع مراعاة الإيجاز عن طريق المشاكلة مستثمراً القرائن السياقية الدلالية، بالاشتغال على مزيتي التخييل والإيحاء اللتين تبعثان على تأمل المعنى البليغ وسرّ جماله، فذاك الدهن الذي هو علاج طبيعي للمريض وبمثابة مرْهم يداوي به مكان المرض، نجده يتحول إلى علاج نفسي معنوي لمريض مصاب بمرض الحُب والاشتياق في غزله العذري العفيف، فيصبح الدواء هنا يكمن بالتمتّع بالنظر إلى خدّ محبوبته والذي يراه متورداً ومتوهجاً في إشراقه وجماله، والخدّ هنا مجاز مرسل علاقته الجزئية فقد ذكر الجزء وأراد الكل فهو يرى شفاءه

بلقاء محبوبته وتزويد عينه بالنظر إليها.

ويحمل الفعل الكلامي (ادهنوه) قوة إنجازية تتعدى حدود الكلام إلى فعل الإنجاز والطلب من خلال صيغة الأمر، فهو يطلب منهم أن يداووه بتلك النظرة إلى محبوبته ففيها تكمن متعه ويجد شفاءه من داء العشق والاشتياق، وفعل الإنجاز الكامن في البيت الشعري يحمل قصدية واضحة ومباشرة من المخاطب لإحداث ذاك الأثر والتأثير في المخاطب لحثه على التصرف بطريقة ما، ومساعدته للشفاء من مرضه.

ونجد الشاعر في هذه الصبغة الحوارية قد حافظ على قواعد التعاون التواصلي التي حددها غرايس. ومبدأ التعاون هو المبدأ التداولي الأول للتخاطب، وصيغته "ليكن انتهاضك للتخاطب على الوجه الذي يقتضيه الغرض منه"، وفق الآتي:

مبدأ الكم: فقد كانت مساهمة الشاعر مباشرة ودالة على مقصده.

مبدأ الكيف: فقد كان الشاعر صادقاً بمشاعره، وأن شفاءه كامن بنظرة من محبوبته، يدعم ذلك تاريخ الغزل العذري لدى الشعراء السابقين.

مبدأ العلاقة (المناسبة): وقد كانت تعبيرات الشاعر ملائمة لحالته ومباشرة دون أي إيهام أو مراوغة.

مبدأ الطريقة (الجهة): وقد عبّر عن مقصده بوضوح وبإيجاز واستعان بآلية الاستعارة للتعبير عن مقصده.

إن فعل "التمتع" المعبّر عنه بالفعل الكلامي (ادهنوه) له إرث واضح الحضور في مدونات الشعراء منذ القدم خاصة في مشاهد الرحيل سواء للمحبوبة أو للشاعر؛ فهذا المثقّب العبدي ينادي محبوبته فاطمة بأن تمتعه بالنظر إليها قبل الرحيل:

أفاطمُ قبل بينك متعيني ومنعك ما سألتك أن تبيني

وهذا الحادرة الشاعر الجاهلي عند رحيل محبوبته سميّة فيخاطب نفسه أن يتمتع بالنظر إليها قائلاً:

بكرت سميّة بكرة فتمتع وغدت غدو مفارق لم يربع

وفي تركيز الشاعر على فعل التمتع، نلحظ ذاك المعنى الاستلزامي الضمني في قوله وهو **"تقوية المعنى وتأكيده بضرب من المبالغة"**، والمعنى الذي يريد توكيده هو: شفاؤه كامن بنظرة من محبوبته المتمثل جمالها بتورّد خديها، أو شفاؤه معنوي وليس شيئاً مادياً.

وبحسب نظرية الحجاج فإن التوضيح السابق ينسجم مع **"الحجة التوجيهية"** وكذلك على **"الحجج المؤسسة على بنية الواقع"** أما النوع الأول فيقوم ضابطها على إقامة الدليل على الدعوى بناء على فعل التوجيه الذي يستدل به المستدل الذي يولي أقصى عنايته لمقاصده وأفعاله (فياض، 2018).

وأما النوع الثاني فينبني على التجربة، وعلى علاقات حاضرة بين الأشياء المكونة للعالم (فياض، 2018).

ويمكن توضيح تلك الحجج كالآتي:

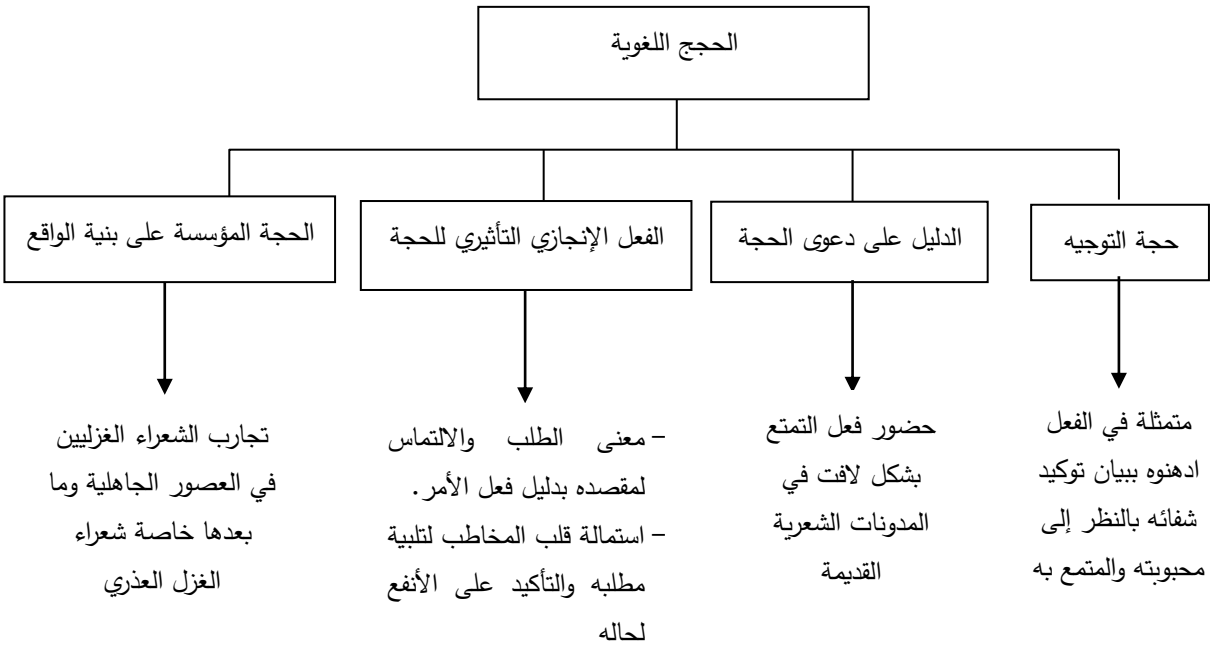

ينهض الفعل الكلامي على آلية تداولية وهي الاستعارة، فالمشكلة ذات دلالة إيحائية تتعلق بالمعنى وإيضاحه، "وإنما قصد المشاكلة باعث على الاستعارة، وإنما سمّاها العلماء المشاكلة لخفاء وجه التشبيه فاغفلوا أن يسموها استعارة، وسموها المشاكلة، وإنما هي الإتيان بالاستعارة لداعي

مشاكلة لفظ للفظ وقع معه" (ابن عاشور،د.ت)، ولعلها تقترب من المظاهر البيانية كالاستعارة، والتي تظهر في قول الشاعر أنها استعارة تصريحيّة حيث شبه التمتع بالدهن، ووجه الشبه أنّ التمتع مما ينبغي أن يكون موضع رغبتهم ومحل عنايتهم، كما أنّ الدهن كذلك، وهذا يدلل أنّه في تركيب المشاكلة تتوافر قرينة معنوية تساعد على إظهار المعنى بأسمى ما يكون جاذبية للمتلقي، فيحصل له الارتياح والطمأنينة وهو يصل إلى قصد المتكلم، بعد مزيد من التفكر والتأمل والتدبر للمعنى السياقي، الذي أتت به المشاكلة بلطف وتعريض غاية في التشكيل الدلالي.

تكمن الشعرية "في اللغة المستخدمة... حيث لا يكون الشعر شعراً على وجه العموم، وإنما هو شعر بما في اللغة من خواص تعبيرية وإيقاعية حققت له كيانه، قد يكون هناك تجربة وهناك عاطفة، لكن الذي يصنع الشعر هو اللغة بكل طاقاتها وإمكاناتها التعبيرية" (عبد المطلب، 1995)، ويحدث أن يداعب الشاعر في المتلقي شعوره، بقصد بريء دون أن يستدرجه إلى أي فعل، ولا تكون المشاكلة في هذه الحالة إلا طريقة فنية في إبداع اللغة ورسم الواقع بحروف هي حروف الواقع لكن بترتيب بديع، ونحن إذا تأملنا قول الشاعر في بيته نجده يسعى لوصف حالة نفسية تسير في الاتجاه المضاد لحالته الجسمية، فهو وإن كان مريضاً في قلبه ومشاعره فإنه غير سقيم في جسده، والشاعر بهذا الشعور يسعى لتقديم "نظرة خاصة" صادقة مألوفة في عالم العشاق والمحبين، لكنها في أسلوب المشاكلة تخرج بصورة مبدعة ومبتكرة تحت رعاية المخيلة بما تنماز بقدرتها على الإبهام.

الخاتمة:

إنّ التداولية امتداد للبلاغة العربية القديمة، بل تعدّ حاملة محتوىً تداولياً لاهتمامها بالباث والمستقبل والسياق والمقام، مما يعني إمكانية الوصول إلى تداولية عربية منبثقة من تراثنا العربي، ولما كان الحجاج ظاهرة متجسدة في الخطاب كان لزاماً أن يتلبّس بألبسة لسانية وأسلوبية، في وقت جرى فيه القول أن دراسة الحجاج في الخطاب اللفظي هو شأن التداولية.

وقد خلص البحث إلى جملة من النتائج نجملها بالنقاط الآتية:

أولاً: مدى فاعلية الأبعاد التداولية بكل آلياتها في تحليل النصوص أو الأقوال الشعرية وتأويلها، وعلى الأخص الشواهد موضع الدراسة، وقدرتها على الكشف عن المقاصد والمضامين العميقة للشاعر، وتوجيه المتلقي نحو التأويل المقصود.

ثانياً: تختلف المشاكلة البلاغية من حيث المفهوم والاجراء عن مصطلح التشاكل كما قدّمه السيميائيين والبنيويين المعاصرين

ثالثاً: إن طرائق التخييل بأسلوب المشاكلة بنوعيها وعلى الأخص التقديرية التي تتضمن الخفاء للفظ المشاكل،تختلف بحسب المقام.

رابعاً: ثمّة غاية ومعنى ضمني استلزامي من ثنائية: المشاكلة البلاغية ونظرية أفعال الكلام؛ فالمشاكلة عدول ومغايرة في الدلالة على المستوى العميق لتحقيق مقاصد فنية يرمي إليها الشاعر بغية الإقناع والتأثير، ونظرية أفعال الكلام تنطوي على أفعال إنجازية تُقدم بأسلوب غير مباشر وتحمل معنى التأثير والإقناع.

خامساً: تظهر فاعلية الأبعاد التداولية في تحليل النصوص، والكشف عن فاعلية المشاكلة فيها في المشاكلة التقديرية بشكل جلي أكثر من المشاكلة التحقيقية، حيث تتضمن التقديرية الخفاء للفظ المشاكل، فَيُلمح تقديراً في الفعل والسياق حتى يتمكن في النفس حق التمكن من خلال تأثيره الإيحائي.

سادساً: إن مفاهيم البلاغة العربية القديمة صالحة لأن تدرس وتحلل وفق معطيات النظرية التداولية كونها تنطوي على آليات ومبادئ قادرة على الكشف عن مخبوءات النصوص الشعرية والمسكوت عنه في المستوى العميق لها.

المصادر والمراجع

بلخير، ع. (2003). تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية. (ط1). منشورات الاختلاف.

بشير، ع. (2019). مصطلح التشاكل بين الترجمة والممارسة النقدية. مجلة بحوث سيميائية، جامعة تلمسان، الجزائر، 8(14)، 17.

التبريزي، خ. (1994). الكافي في العروض والقوافي. (ط3). مصر: مكتبة الخانجي.

الحلبي، ن. (د.ت). جوهر الكنز. (ط1). مصر: منشأة المعارف.

ختّام، ج. (2016). التداولية أصولها واتجاهاتها. (ط1). الأردن: دار كنوز المعرفة.

الداية، ف. (1996). علم الدلالة العربي: النظرية والتطبيق. (ط2). سوريا: دار الفكر.

أبو ديب، ك. (1987). في الشعرية. (ط1). لبنان.

الراشدي، ع. (2015). التداولية ظلال المفهوم وآفاقه. (ط1). الأردن: عالم الكتب الحديث.

الرقبي، ر. (2018). من البلاغة إلى التداولية. (ط1). الأردن: عالم الكتب الحديث.

الرماني، ع. (1968). النكت في إعجاز القرآن. (ط2). مصر: دار المعارف.
الزوزني، ح. (1984). شرح المعلقات السبع. (ط1). بيروت: مكتبة المعارف.
السبكي، ب. (2003). عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح. (ط1). بيروت: المكتبة العصرية.
الستيت، ش. (1994). دراسات منهجية في علم البديع. (ط1). مصر: مكتبة الإسكندرية.
السكاكي، ي. (1987). مفتاح العلوم. (ط2). لبنان: دار الكتب العلمية.
صحراوي، م. (2005). التداولية عند العلماء العرب. (ط1). بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر.
صيّاد، س. (1994). المشاكلة في الدرس البلاغي العربي القديم. مجلة الآداب، جامعة الأمير عبد القادر، الجزائر، 13(1)، 123.
عبد الرحمن، ط. (1998). اللسان والميزان. (ط1). الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
عبد الرحمن، ط. (2000). في أصول الحوار وتجديد علم الكلام. (ط5). بيروت: المركز الثقافي العربي.
عبد الكريم، ش. (2017). جماليات المشاكلة في مختارات للمتنبي.مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية، الجزائر، 5(94)، 167.
عبد المطلب، م. (1995). بناء الأسلوب في شعر الحداثة. (ط2). مصر: دار المعارف.
ابن عاشور، م. (د.ت). تفسير التحرير والتنوير. تونس: الدار التونسية للنشر.
العزاوي، ب. (2010). الحجاج مفهومه ومجالاته. (ط1). الأردن: عالم الكتب الحديث.
عصفور، ج. (1991). قراءة التراث النقدي. (ط1). مصر: مؤسسة عيبال للدراسات والنشر.
عكاشة، م. (2013). النظرية البراجماتية اللسانية: دراسة المفهوم والنشأة. (ط1). القاهرة: مكتبة الآداب.
الفقي، ص. (2000). علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: دراسة تطبيقية على السور المكية. (ط1). مصر: دار قباء للنشر.
فياض، أ. (2018). قراءة تداولية لسانية في الإعلام والتواصل والإقناع دراسة تطبيقية على نماذج من الخطابة السياسية في العصر الأموي. رسالة دكتوارة، سوريا، جامعة تشرين.
قدور، أ. (2008). مبادئ في اللسانيات. (ط3). دمشق: دار الفكر.
القرطاجني، ح. (1964). منهاج البلغاء وسراج الأدباء. (ط1). المغرب: دار الكتب الشرقية.
القزويني، ج. (د.ت). الإيضاح في علوم البلاغة. (ط1). لبنان: دار الكتب العلمية.
كريش، ر. (2015). المشاكلة قراءة في المفهوم البلاغي العربي. مجلة ديالي، بغداد، 68، 27-34.
المبخوت، ش. (2010). دائرة الأعمال اللغوية، مراجعات ومقترحات. (ط1). دائرة الكتاب الجديد المتحدة.
المبرّد، م. (1989). ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد. (ط1). الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.
محمد، هـ. (1993). صور للبديع بين الفن والتاريخ دراسة فنية تاريخية. (ط1). مصر: دار الطباعة المحمدية.
المخزومي، م. (1986). في النحو العربي نقد وتوجيه. (ط2). بيروت: دار الرائد العربي.
المصري، ز. (1995). تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر. (ط1). مصر: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.
مطلوب، أ. (1993). معجم المصطلحات البلاغية وتطورها. (ط2). لبنان: مكتبة لبنان ناشرون.
مطلوب، أ. (2002). في المصطلح النقدي. (ط1). العراق: منشورات المجمع العلمي.
ابن منظور، ج. (2014). لسان العرب. (ط1). مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
نحلة، م. (2002). آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر. (ط1). دار المعرفة الجامعية.
هندي، ت. (2021). سيميائية التشاكل في رواية حمام الدار "أحجية ابن أزرق" لسعود السنعوسي. مجلة الآداب والعلوم الانسانية، جامعة المينا، 93(2)، 492-493.
هنوش، ع. (2016). التأسيس اللغوي للبلاغة العربية: قراءة في الجذور. (ط1). عمان: دار كنوز المعرفة.

References

Abdul Karim, S. (2017). The Aesthetics of Ambiguity in Mutanabbi's Poetry. Al-Hikma for Literary and Linguistic Studies, Algeria, 5(94), 167.

Abdul Muttalib, M. (1995). Style Building in Modernist Poetry. (2nd ed.). Egypt: Dar Al Maaref.

Abdul Rahman, T. (1998). Language and Rhythm. (1st ed.). Casablanca: The Arab Cultural Center.

Abdul Rahman, T. (2000). On the Origins of Dialogue and the Renewal of Theology. (5th ed.). Beirut: The Arab Cultural Center.

Abu Deeb, K. (1987). About Poetry. (1st ed.). Lebanon.

Al Mabkhout, S. (2010). A Collection of Linguistic Works: Reviews and Suggestions. (1st ed.). New Book United Department.

Al-Azzawi, B. (2010). Argumentation in Language' in Argumentation: Its Concept and Its Fields. (1st ed.). Jordan: The Modern World of Books.

Al-Dayeh, F. (1996). Arabic Semantics, Theory and Practice. (2nd ed.). Syria: Dar Al-Fikr.

Al-Faki, S. (2000). Textual Linguistics between Theory and Practice: An Applied Study on the Meccan Surahs. (1st ed.). Egypt: Dar Quba for Publishing.

Al-Halabi, N. (n.d). The essence of treasure. (1st ed.). Egypt: Masha'at Al-ma'aref.

Al-Masry, Z. (1995). Editing of Poetry and Prose. (1st ed.). Egypt: The Supreme Council for Islamic Affairs.

Al-Mubarrad, M. (1989).What the wording agrees and meaning differs in the Glorious Qur'an. (1st ed.). Kuwait: Ministry of Endowments and Islamic Affairs.

Al-Qazwini, J. (n.d.). Clarification in the Sciences of Rhetoric. (1st ed.). Lebanon: Dar al-Kutub al-Ilmiyya.

Al-Raqbi, R. (2018). From Rhetoric to Pragmatics. (1st ed.). Jordan: Alam Al-Kutub Al-hadith.

Al-Rashidi, A. (2015). Pragmatics: Shadows of the Concept and Its Prospects. (1st ed.). Jordan: Alam Al-Kutub Al-hadith.

Al-Rummani, A. (1968). Remarks in the Miracles of the Qur'an. (2nd ed.). Egypt: Dar Al Maaref.

Al-Sabky, B. (2003). The Bride of the Weddings in Explanation of the Keynotes. (1st ed.). Beirut: Almaktaba AlAsriyya.

Al-Sakaki, Y. (1987). Miftah al-Ulum 'The Key to Science', 2nd Edition, Lebanon: Dar al-Kutub al-Ilmiyya, pg. 424.

Al-Sateet, S. (1994). Methodical Studies in Prosody. (1st ed.). Egypt: Maktabat Alexandria.

Al-Tabrizi, K. (1994). Al-Kafi for Prosody and Rhymes. (3rd ed.). Egypt: Al-Khanji Library.

Al-Zawzani, H. (1984). Explanation of the Seven Hung Poems. (1st ed.). Beirut: Maktabat Al-Ma'ref.

Asfour, J. (1991). Reading the Critical Heritage. (1st ed.). Egypt: Eebal Foundation for Studies and Publishing.

Bashir, A. (2019). Isotopy between Translation and Critic Practice. Semiotic Research Journal, Tlemcen University, Algeria, 8(14), 17.

Belkheir, A. (2003). Analyzing Theatrical Discourse in the Light of Pragmatic Theory. (1st ed.). Al-ikhtilaf Publications.

Cartagini, H. (1964). Rhetoricians: Approach and The Writers' Light. (1st ed.). Morocco: Dar al-Kutub al-Sharqiah.

Fayy, A. (2018). Pragmatic linguistic reading in the media, communication and persuasion: An applied study on models of political rhetoric in the Umayyad era. P.h.D., Syria, Tishreen University, 12-35.

Hanoush, A. (2016). The Linguistic Foundation of Arabic Rhetoric, Reading in Stems. (1st ed.). Amman: Dar Kunouz Al Ma'rifa.

Hindi, T. (2021). SeIotics of Isotopy in 'The House Doves' Novel. Literature and Humanities Journal, Mina University, 93(2), 492-493.

Ibn Ashour, M. (n.d.). Interpretation of Liberation and Enlightenment. Tunisia: Tunisian Publishing House.

Ibn Manthoor, C. (2014). Arabic Tongue. (1st ed.). Egypt: The General Egyptian Book Authority.

Khitam, J. (2016). Pragmatics: Its Origins and Trends. (1st ed.). Jordan: Dar Kunuz lil-Ma'refa.

Krish, R. (2015). Ambiguity: A reading in the Arabic rhetorical concept. Iraq: Diyala.

Makhzoumi, M. (1986). In Arabic Syntax, Criticism and Guidance. (2nd ed.). Beirut: Dar Al-Raed Al-Arabi.

Matloub, A. (1993). A Dictionary of Rhetorical Terms and Their Development. (2nd ed.). Lebanon: Library of Lebanon Publishers.

Matloub, A. (2002). On Critical Terminology. (1st ed.). Iraq: Scientific Assembly Publications.

Muhamm, H. (1993). Pictures of the Prosody between Art and History: A historical study. (1st ed.). Egypt: Muhammiyah Printing House.

Nahla, M. (2002). New Horizons in Contemporary Linguistic Research. (1st ed.). University Knowledge House.

Okasha, M. (2013). The Pragmatic Linguistic Theory: Study of the Concept and Origin. (1st ed.). Cairo: Al-adaab Library.

Qadour, A. (2008). Principles in Linguistics. (3rd ed.). Damascus: Dar Al-Fikr.

Sahrawi, M. (2005). Pragmatics among Arab Scholars. (1st ed.). Beirut: Dar Al-Tali'a for Printing and Publishing.

Sayyad, S. (1994). Ambiguity in the Old Arabic Rhetorical Lesson. Prince Abdul Qadir University, Algeria, 13(1), 123.